محنة العقل في الأسلام

مصطفى جحا

١٤٠٢هجري – ١٩٨٢م

مقدمة الطبعة الأولى

موضوع آخر بعد (الخميني يغتال زرادشت) ، راودني هذا العام على كتابته ، ولم يكن لي من عذر يرفع عني اللوم والتثريب.
وإذ أنا حيران في أمري غشى بصري ، وسرق مني النور والنهار ، فكما الذي جهل وجه الصواب . او فقد الحس والحركة رأيتني أحمل "محنة العقل في الإسلام" إلى المطبعة . ولا أدري كيف أخذته مني تلك الآلة الغربية التي لا تشبع ولا ترتوي . وجل ما علق في الزاكرة انني غسلت هناك جسدي . من كل ما يسيل من جلود أهل النار ولحومهم ودمائهم وصديدهم .

- لماذا "محنة العقل في الإسلام" ؟
- هل يعترف المسلمون – وأنا منهم – بأن عقلهم في محنة أو بلية ؟

سؤال ، أو بالأحرى سؤالان ، طرحتهما على نفسي منذ سنوات خلت ولما تعثر الجواب انطلقت أبحث بين كتب السير والحديث وما اتصل بي من أخبار ، ومراجع ، ودراسات ، وأبحاث من مصادر شتى ، فتبدد بعض السحب ، وأشع ما يسترق النظر ، مما شدني إليه ، فبقيت أتأمله ، وألاحقه بعينين مسهدتين ، وفكر قلق ملتاع ، إلى أن أنسني ، وصار لي حبيبا وأنيسا ، فأسكنته القلب ، ولما استقر طلب العقل فبذلته له حبا وسلاما.
إذ ذاك جاءني الرد على السؤال المركب الذي طالما أرقني وأتعبني ، فلا بشرني بالأمر المفرح ولا ردني من غربتي وحيرتي !

يشغل العقل الإسلامي من الأرض وسيعة تمتد أبعد من المحيط إلى الخليج . ويمشي على الخزف . جذوره في مكان وهو في مكان آخر . "العالم الثالث " مسرحه . لم يغادر العقل الإسلامي هذه المنزلة إلى الآن ، لقد أعجبه المناخ كما يبدو .

تحت الخزف رمل . تحت الرمل تراب . تحت التراب ماء . تحت الماء رمل. تحته البترول . تحت البترول ماء. تحت الماء صخر . تحت الصخر كلس . تحت الكلس جذور العقل الإسلامي ... العربي .

مكة تربض على مجد تليد مستمر . الأسد على فريسته والعقل العربي (الإسلامي) تفترسه الأرانب !

مكة المجنونة بالإيمان أدهشتني .
لا تقلني الطائرة إلى هناك .
مكة ... لا تستقبل كفار العقول !
طبقات طبقات تفصلني عن مكة هي فوق وأنا تحت .
هي لديها مفاتيح السماء ، وعندها الزيت والنار .
وأنا أتضوأ لأرى العقل الذي في ضوء النار. لأنظر كيف الوصول إلى جذور هذا العقل .

مكة لا تستقبل الكفار !
وأنا مشدود إليها من شفتي ومشدود إليها من قلبي وأذني .
ناصيتي أحرقها وكيل الرحمن الرحيم .
من ياخذني إلى مكة المعلقة بين الأرض والسماء ؟
لا تخافوا على الحجر الأسود ! لست قرمطيا [1]
الكتب قالت : ما تبحث عنه تلقاه في سفح جبل حراء وظهر الكعبة وأسواق مكة العتيقة ، وربما على مداخلها .
سألت : وأني لي ذلك وأنا ممنوع علي الدخول؟
عادت الكتب تقول : إنه تراث عظيم إحياؤه ، مثلما يجب ، يفرض عليك أن تتقمص النبي محمدا بن عبد الله . عنده العقل الإسلامي وحكايته وجذوره . لكن عندما قبض النبي ((قطف)) الذين كان لهم الشأن هذا العقل ، وبنوا له عرشا مكينا . أما الجذور فتركوها تغوص في الصحراء الجدباء لأعتقادهم بأنها لابد مندثرة . غير أن هذا العمل الذي نطالبك به هو خطير جدا بل مغامرة غير مضمونة العائدة .
يجب أن أتقمص محمدا ؟!
مسألة رهيبة .

---

[1] القرامطة ك حركة دينية سياسية اجتماعية انقرضت واتباعها . من

تمنيت لو أتقمص عبيد اللة بن جحش أو زيدا ابن حارثة . لقد أوجعني الظلم الذي وقع عليهما . لكن الكتب أبت علي ذلك . وإذا أنا مسكون بالنبي محمد . في كل جارحة من جوارحي سكن محمد الذي حصل لنفسه مكانة عند الذين آمنوا به ، لم تعط لإنسان بعد.

***

لقد أذعنت لإلحاح الكتب وتقمصت محمدا فظهرت لي سيرته منذ طفولته وحتى يوم وفاته ، غنية بالأحداث والظواهر والمفاجىت ومثقلة بالهموم والأحزان والوساوس والعقد النفسية ، والضطرابات العاطفية والكبت والحرمان والأوجاع العصبية ، والسهر على تحصيل العلم بالكتاب والثقافات الدينية . وهذه قد تفاعلت جميعها في نفسه وقلبه وعقله مثلما تفاعل هو مع مجتمعه ، فكان معجزة الجزيرة التي ملأت أصداؤها العالم ، وكان النبي ، والمجنون بالعظمة والدكتاتور الحاكم المطلق . إذ كان "أولى بالمؤمنين من أنفسهم " [٤]

تقمصت النبي الي جمع تناقضات الجزيرة كلها فدلتني على جذور العقل الإسلامي ... العربي . وحرضني على كتابة "مكة في تاريخها الصحيح " فكان له ما أراد – أرجو أن أكون قد وفقت إلى ذلك – ثم كانت الفصول الأخرى من هذا الكتاب.

***

في مكان ما لا هو في السماء ولا هو في الأرض ألفيت محمدا جالسا ورأسه بين يديه . الحزن لم يفارق هذا الرجل العظيم منذ ولادته وإلى اليوم وربما لن يفارقه إلى الأبد .

تحسه متندما على ما فعل ، يحتله الأسف الشديد والأسى ، نسي كل شيء عدا كلمته المشهورة : "بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء " [٥]

---

[4] الأحزاب :٦.

[5] خرجة مسلم والأمام أحمد وابن ماجه.

هذه الكلمة الممزوجة بالمرارة والألم والشعور بالخطا دائمة على فمه .
محمد في غربة يعذبه الحنين إلى الأرض .
لكي يعود محمد إلى الأرض ينبغي للعقل الإسلامي أن يرتد إلى جذوره .

سألته عن أمته .
قال : إنها لفي ضلال مبين ز مزقتها الأهواء والسياسات والحقاد ، رغم "أنها خير أمة أخرجت للناس" .

***

محمد النبي ، يبحث عن ورقة بن نوفل وبحيرا وعبيد اللة بن جحش وزيد بن حارثة وعلى بن أبي طالب وفاطمة ابنته[٦] ، فلا يجد منهم أحدا .
محمد في مكانه المعلق ، لا نساء حوله ولا صديقين ، ولا غلمان ولا حور عين.
محمد ناقم على عائشة ، قاهرته وقاتلة ولي عهده : إبراهيم [٧]
محمد لا يزال يخاف عمر بن الخطاب .

---

[6] ترك النبي عند وفاته أموالا خاصة به ، كما كان في حياته قد وهب ابنته فاطمه (لا يوجد كتاب من محمد ينص على ذلك) بعض الأرض لتكون مورد رزق لأسرتها ، وكان أهم ما تركه مزرعة "فدك" التي كانت ملكا له (صالحه أهلها عليها ، أو على نصفها بعد حرب خيبر) فلما توفى النبي طلبت فاطمة ميراثها من رسول اللة فروى ابو بكر عن النبي انه قال : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة . ثم أن فاطمة طلبت ما وهبها اياه رسول اللة وقالت انه وهبها "فدكا" فطلب مناه البينة فشهد لها علي وأم أيمن فرفض ابو بكر قبول شهادتهما . وبقيت "فدك" في يد الخليفة الأول ثم في يد الخليفة الثاني ثم في يد الخليفة الثالث ثم اقطعها الخليفة الثالث لمروان بن الحكم فوهبها مروان لوالديه عبد الملك وعبد العزيز . وفي خطبة لها وجهتها الى الحاضرين ، عندما صودرت اموالها وحرمت من ميراثها ، تقول : "وأنتم الآن تزعمون ان لا ارث لي من ابي ... ايها المسلمون اغلب على ارثي ، يا ابن ابي قحافة (تقصد ابي بكر) افي كتاب اللة ان ترث اباك ولا ارث أبي ؟ " (دائرة المعارف الشيعية – حسن الأمين- المجلد الأول الجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، دار التعارف للمطبوعات ص ٦-٧-٨-٩).

[7] عندما بعث المقوقس عظيم القبط بمارية واختها سيرين هدية إلى النبي اختار النبي مارية فتزوجها ، عن هذه السيدة القبطية التي انجبت له ولده ابراهيم (مات وهو ابن سنتين) تقول عائشة: "ما غرت على امرأة الا دون ما غرت على مارية وذلك انها كانت جميلة جعدة ، فأعجب بها رسول اللة وكان انزلها اول ما قدم بها في بيت لحارثة ابن النعمان ، فكانت جارتنا ، فكان عامة الليل والنهار عندها ... فجزعت ، فحولها الى العالية ، وكان يختلف اليها هناك ن فكان ذلك أشد علينا ، ثم رزقه اللة منها الولد وحرمناه منه " (السمط الثمين : ص ١٤٠ . بنت الشاطيء : ص ٢٠١)

بعد حديث طويل تركته يردد : "بدأ الإسـلام غريبـا وسـيعود غريبـا ".
ماذا تقول مكة ؟
ماذا يقول العرب ؟
ماذا يقول المسلمون؟
لست أدري .

مصطفى جحا
بيروت في ٣١ كانون الأول ١٩٨٠

"كل بلاد حرة يجب أن تمرن أبناءها على التفكير وتشجعهم على البحث والمناقشة ، وان تطلق لهم حريتهم ليرتئي كل منهم الرأي الذي يعتقد صحته ، والمعلم المستبد بآرائه ، المتعصب لها ، ينشئ طلبة جامدين ، والدولة التي تجري على نظام تعليمي هذا أساسه امة تهمل الحرية الفكرية اللازمة للأرتقاء "

سدني هكسن
استاذ علم الحيوان في جامعة منشستر (عام ١٩٢٥)

الفصل الأول

مكة في تاريخها الصحيح
(٥٧٠-٦٣٢م)

"بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا ،
كما بدأ ، فطوبى للغرباء "
محمد بن عبد اللة

القسم الأول

نبوة محمد على المحك
(بحث في دوافع النبي)

((ان معرفة الإنسان دوافع غيره من الناس تحمله على التسامح ورحابة الصدر واقامة علاقات انسانية أفضل بينه وبينهم.
يضاف إلى هذا ان جهل الإنسان بدوافعه الخاصة مصدر لكثير من متاعبه ومشاكله ومعتقداته الباطلة واندفاعاته وازماته النفسية.
بل أن كثيرا من ألوان السخط والشقاء فيما يكابده الإنسان يرجع إلى انه لا يعرف ما يريد.
... والدوافع حالات وقوى لا نلاحظها مباشرة بل نستنتجها من الأتجاه العام للسلوك الصادر عنها.
مثلنا كمثل عالم الطبيعة لا يلاحظ ظواهر مختلفة تشترك كلها في صفة واحدة هي النزعة الى التحرك نحو مركز الأرض ...))[٨]

تمهيد :

[8] أصول علم النفس ، المكتب المصري الحديث ، طبعة (٨) ١٩٧٠ ، ص٧٢-٧٣

يقول الشاعر الفرنسي لامارتين[٩] : ((إن حياة مثل حياة محمد وقوة كقوة تأمله وتفكيره وجهاده ووثبته على خرافات أمته وجاهلية شعبه ، وشدة بأسه في لقاء ما لقبه من عبده الأوثان ، وإيمانه بالظفر ، وإعلاء كلمته ورباطة جأشه لتثبيت أركان العقيدة الإسلامية . إن كل ذلك ، أدله على أنه لم يكن يضمر خداعا أو يعيش على باطل ، فهو فيلسوف وخطيب ورسول ، ومشرع وهادي الإنسان إلى العقل ، وناشر العقائد المعقولة الموافقة للذهن واللب، ومؤسس دين لا فرية فيه ، ولا صور ولا رقيات ، ومنشيء عشرين دولة في الأرض ، وفاتح دولة روحية في السماء وتمتلئ بها الأفئدة ، فأي رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثل ما أدرك ، وأي إنسان بلغ من مراتب الكمال مثل ما بلغ))[١٠]

ويقول ويل ديوانت [١١] : ((...وإذا حكمنا على العظمة بما كان لعظيم من أثر في الناس ، قلنا أن محمدا كان من أعظم عظماء التاريخ فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء ، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحا لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله ، وقل أن نجد إنسانا غيره حقق كل ما كان يحلم به ، واستطاع في جيل واحد أن ينشيء دولة عظيمة ، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم))[١٢]

وفي دائرة المعارف البريطانية قيل تحت مادة محمد : ((محمد بن عبد اللة مؤسس الدين الإسلامي – ولد في مكة عام ٥٧٠ [١٣] ميلادية ومات عام ٦٣٢.

---

[9] لامارتين (الفونس دي) (١٨٦٩-١٧٩٠) من مشاهير الشعراء الفرنسيين وزعيم الحركة الرومنطيقية . زار الشرق وشغف به . من مؤلفاته الشعرية : ((التأملات)) . ((جوسلين)) . والنثرية ((رحلة إلى الشرق)).

[10] خرجه المهندس زكريا هاشم زكريا : المسنشرقون والأسلام ص ٢٧٢. انظر كتاب أحمد السيد ((محمد نبي الأنسانية)) دار الشروق ، ص ٧٦.

[11] ديورانت ويل (١٨٨٥ -) مؤلف امريكي . صاحب ((قصة الحضارة)) . استهدف في آثاره تبسيط التاريخ والفلسفة .

[12] قصة الحضارة – ترجمة محمد بدران – الجزء الثاني – المجلد الرابع – ص ٦.

[13] المحقق تاريخيا أنه ولد يوم الأثنين ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ (التقويم العربي ، ص ٤٤) .
ومن جهتي لن أتمسك ولا برأي من هذين ، ولا سيما أن (النبي) قد ولد ونشأ في بيئة لم تكن تقيد تاريخ الميلاد . ويكفي أن يكون وحده اللة العليم بذلك . فاسم محمد في اللوح المسطور من قبل أن يولد آدم ، ((شهادة ميلاد)) تدحض كل شهادة ! والذي يعرف متى ولد آدم يعرف متى ولد محمد .

((وقليلون هم الرجال الذين أحدثوا في البشرية الأثر العميق الدائم الذي أحدثه محمد. لقد أحدث أثرا دينيا عميقا لا يزال منذ دعا إليه حتى الآن هو الإيمان الحي والشريعة المتبعة لأكثر من سبع سكان العالم.
على أن أثره التاريخي يبدو بالأكثر عندما نذكر أنه في أقل من عشرين سنة مذ بدأ دعوته قوض دعائم أمبراطوريتين عتيدتين وهما الأمبراطورية البيزنطية والأمبراطورية الفارسية ، مؤسسا على أنقاضهما حضارة جديدة.
((ولقد أرسى مذ جاء بدعوته التي هي عقيدة وشريعة قواعد بناء المجتمع الأجتماعية والسياسية ، وقد أعقب موته ، أن سجل خلفاؤه الأحادديث التي رويت عنه . وأدق التصرفات والأفعال التي قام بها ، فاتخذ المؤمنون من هذه الأحاديث نبراسا ومثلا أعلى يحتذونه في حياتهم اليومية جيلا بعد جيل)) [١٤]
وجاء في كتاب ((مختصر تاريخ الإنسانية)) لمؤلفه ه.ج.ويلز [١٥] :
كان يمكن لأي متنبئ تاريخي يستعرض حياة بشر في مستهل القرن السابع الميلادي ، أن يتوقع بحق أنه لن تمضي بضعة قرون حتى تقع كل أوروبا وآسيا تحت سيادة المغول والتتار فلم يكن في أوروبا الغربية أي إشارة تدل على إمكان قيام النظام فضلا عن الوحدة ، والأمبراطوريتان البيزنطية والفارسية كانتا في طريقهما نحو الأنحلال والدمار .
((ولكن هذا المتنبئ كان سيخطئ في تقديره ، فقد اشتعلت دنيا الصحراء والبدو بمائة عام من المجد عندما بسط العرب سلطانهم ومدوا حكمهم ولغتهم من اسبانيا إلى حدود الصين ، مقدمين للعالم ثقافة جديدة ، ومنشئين دينا لا يزال حتى اليوم أحد القوى الحيوية في العالم.
((وكان محمد بن عبد اللة هو الذي أشعل الجزيرة العربية ودفعها لتحقيق ذلك كله والذي ظل حتى سن الأربعين لا يميز نفسه بشيء غير عادي عن بقية معاصريه))[١٦]
لن نأتي على كل ما قاله المفكرون والمؤرخون الغربيون في محمد بن عبد اللة بن عبد المطلب فهؤلاء كثيرون حقا .

---

[14] أحمد السيد : محمد نبي الإنسانية ، دار الشروق ص٧٢.

[15] ويلز هربرت جورج (١٨٦٦-١٩٤٦) : روائي ومؤلف انكليزي يعتبر أحد أبرز كتاب الرواية العلمية . ومن أهم أعماله : The outline of history (1920) a story of the development of the human race.

[16] خرجه أحمد السيد في ((محمد نبي الأنسانية)) المصدر نفسه ص ٧٣.

وموضوعنا لا يسمح بالذهاب إلى أبعد من ذلك ، على أن إعجاب الغربي بعظيم من الشرق ، أو بالعكس هو – عندنا – أمر غير مستغرب . فالعلم أو الفكر أو الفلسفة أو الأدب وإن كان صادرا عن شعب معين ، هو أصلا ، ملك لمن يريد الأطلاع عليه أو يطلبه مهما اختلفت جنسية هذا الطالب أو عقيدته.

يتيم مكة :

محمد يتيم مكة الجدباء التي لا زرع فيها ولا نخيل ، الفقيرة ، القليلة مواردها (ولا بترول يومذاك) الشحيحة مياهها بل النادرة ، اللاهبة الحر ، الصعبة المعاش ، المعتمدة على الخارج لدرء خطر الجوع والموت عنها [١٧] نشأ لا كما عامة الأطفال في هذه الصحراء البعيدة المهملة . مات أبوه وهو لا يزال في بطن أمه .
أرهق الحزن آمنة ، إثر وفاة زوجها عبد اللة وجف ثديها . ثويبة ، مولاة أبي لهب ، لقمته ثديها ، لبضعة أيام ، ((من هذا الرضاع ، ربطت محمدا بمسروح – ابن ثويبة – بآصرة الأخوة)) [١٨]. قبل ((الأخوين)) مسروح ومحمد ، تلقم حمزة [١٩] الثدي نفسه . ثويبة سلمته إلى حليمة السعدية [٢٠] في البادية ، لترضعه سنتين مع ابنها عبد اللة . أعيد إلى أمه وهو ابن ست سنوات ، فحملته من مكة إلى المدينة لزيارة قبر أبيه وأخواله (من بني زهرة) . ماتت آمنة (٥٧٦م) ولما يبلغ محمد الثامنة . احتملت الفتى أم أيمن إلى جده عبد المطلب ، فكفله وتعهده حتى التحق بابنه عبد اللة عن عمر يناهز الثمانين . مات جده فكفله من بعده عمه أبو طالب (والد علي) .

الطفولة المعقدة :

---

[17] يقول الأستاذ سليمان كتاني في كتابه (محمد شاطئ وسحاب) : ((ولد محمد في مكة ، يوم كانت مكة تعجن الطحين من كل غبار يتطاير من زحف اقدام الحجاج الى حرم الكعبة ، يوم كانت تتلمس بركة قطيع من الأصنام المشرورة حول هذه الجدران ، يوم كانت تنام صديانة (شديدة العطش) : تنتظر رجوع النوق من رحلاتها إلى الشام والعراق ، لتأخذ من حليبها المنهوك جرعة ري)) ص ٣١

[18] سليمان كتاني : محمد شاطئ وسحاب ، مكتب الدراسات العلمية ، بيت الشعار ، المتن لبنان ، ط ١٩٧٠، ص ٣٢

[19] حمزة بن عبد المطلب (ت٣هـ – ٦٢٥م) عم النبي . من سادات قريش في الجاهلية وصدر الأسلام . قاتل في بدر واستشهد في أحد .

[20] هي حليمة بنت أبي ذؤيب : من بني سعد بن بكر . مرضع النبي بضع سنين . آمنت برسالته بعد مبعثه . تعد صحابيه.

في طفولة محمد ، أذن ، أربع نساء ((أمهات)) وربما أكثر ورجـلان ((أبوان)) عذا الأب الطبيعي ، وثلاثة ((شركاء)) بالرضاعة ، مـنهم عمه أخو أبيه .
يتفق المؤرخون على أن ((أبو طالب)) كان يحدب على ابـن أخيـه حد فيه من الحنان بقدر ما فيه من التخـوف. ((وكـان يخـاف عليـه يدا آثمه أو حدثا مباغتا ، فعمد – بـوحي مـن هـذا التخـوف – إلـى كل تحسب من أي شيء يرتقب [٢١]. لقـد كـان يسـحب فتـاه هـذا مـن نومـه مسـتبدلا بـه ابنـه عليـه ، زيـادة فـي الأطمئنـان عليـه وتدليلا على وسواسه الدائم ، وتحسبه المفرط))[٢٢]
"ولم يكن أبو طالب يطيق البتعاد عنـه (محمـد) وهـو يلبـي نـداء الرحيل على ظهور القوافل الميممـة خطـوط الشـام . لهـذا جعلـه فـي صـحبته ، ولـو جشـمه العنـاء الطويـل ، فـي رحلـة مـن هـذه الرحلات "[٢٣]
لماذا ؟؟
هل كان يبدو على محمد مرض غير عادي ؟
يجب أن يكون في الأمر سر.
مم كان يتألم محمد ؟ من الكبت الشديد؟ أم مـن الشـعور بـالغبن واليتم والحرمان ؟

ألم يلاحظ أبو طالب أن ابن أخيه كان يؤثر الوحدة والغربة ، ويشـده مكان ما ، ويحن إلى الجلوس مع أحد من الناس؟
إن الذي يعيش طفولة معقدة مثل طفولة محمد يتعرض إلى أنواع شـتى مـن الشـذوذ النفسـي ، ويضـطرب ، وتتملكـه المخـاوف والوساوس فيقلق ويغترب عـن أهلـه وذويـه . وربمـا انحـرف عقـل محمد وسلوكه ، تحت تأثير الحزن واليأس العميقين الكامنين فـي نفسـه . والخـوف مـن المجتمـع ، المجتمـع المكـي، الـذي غزتـه التيارات والمذاهب المتضاربة المتطاحنة ، كما غـزاه التجـار وأربـاب المال والمستثمرون والمستهلكون ، الذين جعلوا من مكة عاصمة الجزيرة آنذاك ، والمركز الرئيسـي الذي تجتمع إليـه سـائر القـرى . مع العلم بأن مكة تقع في منتصف الطريـق التجـاري الممتـد بـين

---

[21] من الذي أوحى الى ابو طالب ان يكون شديد الحرص على ابن أخيه ؟ وممن كان يخاف عليه ؟ من حزب جديد ؟ أم من زعيم طاعن بالسن يبحث عن خليفة له ؟
[22] سليمان الكتاني ، المصدر السابق، ص ٣٦.
[23] المصدر نفسه .

اليمن صاحبة اليمن والخيرات وبين بلاد الشام سوق الأستهلاك الكبير.[٢٤]

لقد رأى الصبي ، محمد ، لا شك ، أثرياء اليمن والشام . وشاهد الأموال والبضائع يتداولها اليمنيون والشوام فيما الطبقة الفقيرة من أهل مكة ، وهو منها ، تزداد فقرا وبؤسا وشقاء. هذا ، فضلا عن مأساته التي سببها له موت والديه وجده عبد المطلب ، مما قوى ميله إلى العزلة ، وربما رسخ في نفسه حقدا على هذا المجتمع الذي لم يبد لا عاطفة ولا رحمة ، ولم يبادر إلى مساعدة أولئك المسحوقين والمستضعفيه ممن عاشوا حياتهم ينتظرون عاصفة تنقذهم من العذاب الذي هم فيه.

أبو طالب يسحب ابن اخيه من نومه ن كلما هم بالرحيل ، مسألة خطيرة جدا ن لعل الصبي اليتيم ، المحروم ، كان يعاني مرضا نفسيا ، اعتبره عمه آفة تهدد سلامة الصبي البريء الذي نزلت به النكبات والكوارث وهو رضيع . لا نريد أن نستعجل الحكم على محمد بالمرض النفسي ، ولئن كانت المظاهر أو بعضها تشير إلى ذلك .

بذور الثورة :

المجتمع المكي متصدع فيه طبقتان من الناس ، الصورة قاتمة ، الصورة بلا إطار ، محمد الصبي يتأمل الصورة مليا ، هو لا يرى سوى حفنة من الناس : ((الملأ)) . أغنياء مكة . أصحاب المال الكثير والأرض الوسيعة والإبل العديدة . سكان الحي الراقي في مكة يأكلون بصحاف من فضة وذهب . يملكون الألوف من الإبل . ويسكنون الغرف العالية والقصور المشيدة ويلبسون الحرير[٢٥]

[24] يقول الدكتور جواد علي : ((يعود الفضل في بقاء مكة وبقاء أهلها بها إلى موقعها الجغرافي . فهي عقدة تتجمع بها القوافل التي ترد من العربية الجنوبية تريد بلاد الشام أو القادمة من بلاد الشام تريد العربية الجنوبية والتي كان لابد من ان تستريح في هذا المكان لينفض رجالها عن أنفسهم غبار السفر وليتزودوا ما فيه من رزق ، ثم ما لبث أهلها أن اقتبسوا من رجال القوافل سر السفر وفائدته . فسافروا أنفسهم على هيأة قوافل تتولى نقل التجارة لأهل مكة ، وللتجار الآخرين من أهل اليمن ومن أهل بلاد الشام . فلما كان القرن السادس للميلاد احتكر تجار مكة التجارة في العربية وسيطروا على حركة النقل في الطرق المهمة التي تربط اليمن ببلاد الشام والعراق)) المفصل في تاريخ العرب قبل الأسلام . دار العلم للملايين ص ٤-٦٤

[25] يومذاك كان الجمل بمثابة سيارة شاحنة ، وكان النقل في أوج عظمته بين مكة وبلاد الشام ومكة وبلاد اليمن .

اليمني ، وينامون على سرر مرفوعة . فرشهم مبطنة ومبثوثة ، أرائكهم منعمة ، يسطون على أموال اليتامى والمساكين ، يرغمون المستدينين على حمل نسائهم أو بناتهم على البغاء لإيفاء ما عليهم .

أما "الأذلة" ، وهم السواد الأعظم من سكان مكة فما كان لمحمد أن يطيق النظر إليهم . هؤلاء مزقهم الأستبداد والطغيان ، فمنهم "الصعاليك" و"ذؤبان العرب" و"لصوص البادية" و"عصابات السوء" ، طعامهم من ورق الأشجار أو لحائها أو ثمرها ، ومن الأعشاب يأكلونها نيئة دون معالجة ، وربما صنعوا من الوبر والدم طعاما أو كسروا العظام ، وقد جرد عنها لحمانها ، فطبخوها .

الصورة المخيفة ، الجوع ينهش قلوب الذين أبوا أن يستجدوا أو يتوسلوا ، الجوع يقتحم بيوت الأذلة ، يفترسهم ، أليس الموت أفضل من الذل والجوع والحرمان ، عندما لا يجد البائسون طريقا إلى الثورة أو الخلاص ؟

الصورة المعتمة تغمر مكة ، محمد خائف ، أبناء طبقته "تنبعث منهم روائح كريهه من عدم الغسيل ، ويلعب القمل في شعرهم ، ويتنقل على أجسادهم حيث يشاء" [٢٦] .

محمد ، الفتى يحاول أن يجد حلا ، يحار في فهم هذه الظاهرة وكشف أسرارها ، المشكلة تتفاقم ، اضطرب عقل محمد إذ هو لا يستطيع أن يفعل شيئا . "أبو طالب" لا يعرف أن مثل هذه العوامل إذا ما اجتمعت لدى طفل بائس مثل محمد ، غيرت سلوكه ، وعقله ، وشخصيته ، فكان يخاف على ابن أخيه القلق المتوثب الطموح من حادث قد يحدث له ، فيأخذه معه أينما ذهب ، وفي محمد ثورة على الواقع .

إلى عيادة فرويد :

"أبو طالب" يراقب تحركات ابن أخيه فيرى في بعضها الهذيان (delirium) وفي بعضها الحزن ، وفي بعضها الآخر التمرد والعصيان والطموح ، والغضب والنقمة ، كأني – بأبو طالب يتساءل عن وضع

[26] جواد علي : تاريخ العرب قبل الأسلام ٥ـ٨٠.

هذا الصبي المثير المخيف ، وعما إذا كان قد خالط عقله هـوس أو انحراف.

أنها لقضية انسانية ، فلماذا نسكت عنها وهي ذات جذور متأصلة فـي حياتنـا السياسـية ، والفكريـة ، والأدبيـة ، والإجتماعيـة ، والدينية ، والعاطفية، والعلمية ؟.

هذه القضية آن لها أن تجد حلا . أن لمحمد ، فينا ، ما يصـدق ومـا لا يصدق ، وقد استعمر هذا الرجل ، المسور نفسه بملائكـة اللـة ورسـله ، عقولنـا ونفوسـنا منـذ أمـد بعيـد ، كمـا اسـتعمر التـاريخ والتراث واستغلهما ، ولا يزال يستعمرهما ويستغلهما ، بأبشـع مـا يكون الأستعمار والأستغلال.

نستأذن أبو طالب الحائر ، الخائف على ابن أخيـه ، لنبحـث معه ، ولو بعـد مئـات الأعـوام عمـا كـان يخـامره بشـأن ابـن أخيـه هـذا ، فنصطحب الفتى (محمد) النـابغ الغـامض إلـى عيـادة "سـيغموند فرويد" [٢٧] كـي نسترشـده ، وهـو العـالم النفسـاني الكبيـر ، علـه يكشف لنا ملامح هذا الأمر.

محمد في عيادة فرويد :

"سيغموند فرويد " ماذا يقول؟

عبقـري هـادئ متـزن يخضـع عبقريـا مضـطرب الـنفس والعقـل والشعور ، للتحليل النفسي . يلقي على أبو طالب بعض الأسئلة حـول ولادة محمـد ووفـاة أبويـه ، ورضـاعته ، ونشـأته ، وحركاتـه ، ومأكله ، ومشربه ، ونومه ، وغضبه ، وفرحه ، وعلاقاتـه مـع أترابـه من الذكور والإناث.

"أبو طالب" متكتم لا يبدي صراحة .

---

[27] فرويد سيغموند Freud Froyd Sigmund (1856-1939) was an Austrian physician who revolutionized ideas on how the human mind works > Freud established the theory that unconscious motives control much behavior. He thus greatly advanced the field of psychiatry > His work has helped millions of mentally ill patients. (George H> Pollock W.B.E.V. 7 P. 456)

"فرويد " يتلو علينا بيانه :

"الصرع (Epilepsy) نوبة عصبية مفاجئة ، تختلف في أعراضها وشدتها باختلاف الأفراد ، وينقسم من حيث الدرجة إلى نوعين [28]. يتميز كل منهما بمظاهر خاصة فالنوع الأول الذي اصطلح على تسميته (الصرع الأكبر) يمر بالأدوار التالية:

تسبق النوبة العصبية بوادر تأخذ أشكالا عديدة ، منها الدوخة وخدر الأطراف ، والمخاوف وتوهم الأشباح والأصوات المفزعة وتستمر هذه البوادر بضع دقائق ، ثم يتبعها تشنج مصحوب بتصلب أعصاب الجسم الإرادية تنتهي بسقوط المريض على الأرض وقد يترتب على هذا بعض الرضوض في الرأس أو أعضاء الجسم الأخرى.

"أبو طالب " مقاطعا : كأنك كنت معنا يا حكيم العقول.

"فرويد " يتابع :
" إن هذا التشنج (Convulsion) يكون في أول الأمر من النوع (الشديد التوتر) ، ثم يتحول – بعد انقضاء ثلاثين ثانية – إلى تشنج من النوع الأهتزازي ، ويصاحب هذه الحالة التشنجية أعراض أخرى منها : التواء الفك وعض اللسان وفتح العينين ، وتغيير لون الوجه واضطراب في عملية النفس وفي حركة القلب ورغاوي على الفم ، وسيلان في اللعاب ، وتستغرق هذه النوبة مدة خمس دقائق ، يعود بعدها المريض إلى الحالة الشعورية التي كان عليها ، وقد يحدث أن ينام نوما عميقا ، وعندما يستيقظ

---

[28] بينما أرنست رودن (Ernest A. Rodin)يقسم الصرع الى ثلاثة انواع رئيسية فيقول :
“These are three chief types of epileptic attacks (1) grand mal , (2) petit mal , and (3) psychomotor
عن هذا النوع الثالث من الصرع يقول رودن :
“In a psychomotor attack the patient acts withdrawn and behaves strangely for a few minutes , the victim suddenly roam around the room or tug at his or her clothes . (W.B.E.V. 6 P. 263)
فليس هنا لك ما يستحق أن يدعى فرقا بين تقسيم "فرويد" وبين تقسيم "رودن" .

نجده يشكو التعب والإجهاد كما أنه لا يتـذكر شـيئا مما حـدث لـه أثناء النوبة العصبية " [٢٩]

على هامش بيان "فرويد" : كان في قريتي رجل مصاب بهذا النوع من المرض ، كانت النوبة تأتيه مرة أو مرتين فـي الشــهر ، البـوادر التي ذكرها "فرويد" هي عينها التي رأيناها عند كامل ابن قريتنا ، في ساحة القرية ، شاهدناه غير مرة ن يسـقط أرضـا ... وينـتفض كالثور المذبوح ، شيخ القرية أفاد أن كامل ليس مريضـا ... بـل هـو مسكون بالجن . علمونـا أن نبسـمل (نقـرأ : بأسـم اللـة الـرحمن الرحيم) كلما حلت النوبة على كامـل . شـيخ القريـة أكـد قـائلا " إنها مشيئة اللة يا أولادي".

آخرون قالوا : إنهـا نقطـة دم تنـزل علـى الـدماغ فتحـدث غيبوبـة . صدقنا الشيخ لأن الجن قادر أن يأتيك بكرسـي الـرئيس الأمريكـي أو الرئيس السوفياتي ، أو بالأثنين معا ، قبل أن يرتد إليك طرفـك ، أما كرسـي الرئيس الإسرائيلي ، حفيد سليمان بن داود ، فالحيلة معه غير نافعة ، الجن لا يخرج على ملكه .

"أبو طالب" لا يملك سوى الصمت .

"فرويد" يكمل :

"أما النوع الثاني من الصـرع فقـد اصـطلح علـى تسـميته (الصـرع الأصغر) (Epileptiform) ومظـاهره أخـف حـدة مـن مظـاهر النـوع الأول وتكون نوبة هذا النوع أخف وطأة من نوبات الصـرع الأكبـر فـلا تسـبقها بـوادر ، ويغلـب ألا يصـحبها مـا يصـحب الصـرع الأكبـر مـن تشنجات . ومن أهم اعراضها فقدان مؤقـت للشـعور ، وسـهو تـام يترواح بين عدة ثوان ودقائق . وقد يتفق أحيانا أن يسـقط المـريض على الأرض ولكن في معظم الحالات يسـتطيع أن يحـتفظ بتوازنـه ولا يظهر لنا من الأعراض الجسـمية سـوى انقـلاب العينـين وميـل الرأس وسقوط ما يمسكه المصاب مـن أشـياء ، وقـد يتوقـف عـن الحديث حتى ليترك جملة دون إتمامهـا . ولمـا كـان المصـاب فـي هذه الحالة لا ينتبه للخطر ، فغالبـا مـا يقـف أثنـاء عبـوره الطريـق

[29] سيكلوجية السلوك النفسسي عند الجنسين ، تأليف سيجموند فرويد ، ترجمة بتصرف فؤاد ناصر ، منشورات حمد ، الطبعة الثانية بدون تاريخ ص ١٩٦-١٩٧

المزدحم او يسقط أثناء وقوفه على سلم الترام ويكون شاحب الوجه ، ولا تظهر عليه أية بادرة من بوادر التعبير ، ويفيق من سهوه ويعود إلى شعوره التام على نحو فجائي.

"أبو طالب" يكسر الصمت : عن الجمل أيها الحكيم ، الترام كلمة غريبة عنا .

"فرويد" يتابع :

" على أن بعض المصابين يستطيعون مواصلة أعمالهم من النقطة التي توقفوا عندها وذلك دون علم بسهوهم فيتمون الجملة الناقصة ، أو يواصلون السيرة كأن لم يحدث شيء على الأقل.
إن بعض هذه النوبات من الصرع الأصغر قد يستحيل إلى نوبات من النوع الأكبر، ولكن في هذه الحالة لا يكون المصاب عرضة لكلا النوعين" [٣٠]

عفوا "فرويد" :

إذا كان "أبو طالب" يخاف على ابن أخيه "من أي شيء يرتقب " أفلا يجوز أن نقول أن الصرع الأصغر ولا نقول الأكبر ، كان يفاجئ محمدا ، فيقلق " أبا طالب" ويشغل باله على ابن أخيه ؟

"فرويد" يواصل تلاوة بيانه :
" إن اسباب هذا المرض عضوية في جوهرها ، كما يقول الباحثون [٣١] إلا أن حدوث النوبة رهن بالأضطراب النفسي .
فقد لوحظ أن النوبات الصرعية اطردت زيادتها نتيجة القلق العام الذي احدثته الغارات الجوية أثناء الحرب " [٣٢]

---

[30] المصدر السابق

[31] "عيوب في انسجة المخ من الميلاد أو صدمة تأثر بها المخ في أعقاب بعض الأمراض ، مثل الألتهابات السحائية والمخية والأورام الخبيثة ، أو السموم التي تؤثر في الخلايا المخية سواء جاءت من الخارج – عن طريق الخمور والمخدرات – أو من الداخل كالسموم المختلفة في الكبد أو في الكلى والتي ينبغي أن تخرج مع البول حيث ان تخلفها يؤثر تأثيرا سيئا على وظائف المخ " أيضا في الجوع ، وسوء التغذية ، وعدم الغسل ، وما يسبب عيبا في أنسجة المخ ، كما يسبب عيبا عموميا في سائر أعضاء الجسم وخلاياه .

[32] فرويد ، المصدر السابق، ص ١٩٧-١٩٩.

"أبو طالب" يصغي متعجبا . أبو طالب يتمتم : ألا يكون محمد قد أصيب بلكمة على رأسه أيام كان في أمانة حليمة السعدية ؟ لم لا ؟!

نبقى مع العالم النفسي فرويد ، لنستعرض وإياه مختلف مظاهر الشذوذ النفسي : فرويد يشرح ويصنف ويفسر :

١- النيواستنيا (Nervous Breakdown) النهك العصبي :

إنه مرض آخر من الأمراض النفسية يشبه من بعض الوجوه حالات القلق النفسي ، غير أننا نرى في أعراضها من الخصائص ما يميزها عن حالات القلق ويجعلها مرضا قائما بذاته .
"وأهم أعراض هذا المرض ، الشعور الدائم بإجهاد زائد فنرى المريض دائم الشكوى من التعب عن القيام بعمل ما ، فكثيرا ما يبدأ منذ مغادرة المريض الفراش حتى يأوى إليه في المساء ، بل ولا يستطيع أن ينام نوما هادئا بعد ذلك مما يضاعف شعوره بالتعب الجسدي ، حتى ليظن أن العلة في جسده لا في نفسه وكذلك يشعر المريض بالضيق والتبرم ويعرض عن الأشتراك في أي عمل ، وينالـه الملل بسهولة حتى من أيسر الأعمال ، ولا يستطيع مواصلة التفكير في موضوع معين " [٣٣]

وقد ينتهي هذا المرض بصاحبه إلى اليأس الشديد ، وربما إلى الأنتحار . وكثير من طبقة "الذلة" في مكة ، من كان يفضل "الأعتفاد" [٣٤]، فيغلق بابه على نفسه ليموت جوعا ، بعد أن يكون قد قطع الأمل والرجاء ، إثر انكسار ينهك الأعصاب ويفتك بالقلب والعقل .

٢- الهيستريا (Hysteria) :

وهي مظهر من مظاهر انحلال الشخصية يصاب بها غالبا من هم في سن الشباب وخاصة الإناث منهم .

---

[33] فرويد ، المصدر نفسه ، ص ١٨٠.

[34] جاء في لسان العرب : قال أبو عمرو : يسأل احدا

وتمتاز الشخصية الهيسترية بصفات تميزها عن الشخصية العادية ، ومن أبرز تلك الصفات ، إيثار النفس ، وذاتية المركز وقصور في القدرة على صدور الأحكام والسيطرة على المواقف ، والهروب من تحمل المسؤوليات ، وعدم النضوج العقلي والخلقي ، كما أنها تميل إلى تفضيل العاطفة على العقل والخضوع لسلطان الشعور دون سلطان المنطق . وما هذه إلا صفات لا يدركها المريض في المراحل الأولى من حياته غير أنها تصبح شيئا فشيئا جزءا من سلوكه مكملا لشخصيته " [٣٥]

ما أكثر الذين اصيبوا بمرض الهيستريا ، في مكة ذلك الزمان ، ولم يلتفت إليهم المؤرخون ! ولا يزال بعض الشرقيين يؤمنون بالعلاج "الميتافيزيقي" : الرقيات ، التعاويذ ، زيارة قبور المقدسين ، والأنبياء ، وأهل الكرامات وعتبات الأولياء من الأئمة . لأن الطب النفسي لم يعرف ، في عهد محمد . أهمل المؤرخون والباحثون ما أصاب أبناء الطبقة المعدمة في مكة ، وغير مكة ، بسبب الجوع ، والتعذيب ، والقهر ، والقلق، والخوف، والحرمان ، والتسلط ، والأستبداد .
رجل يرغم على أن يدفع بزوجته ، أو ابنته ، إلى البغاء ، ليسد حاجة ، أو دينا عليه ، مشكلة أساسية ، قد لا تؤدي إلى الهيستريا فحسب بل إلى ما هو أخطر من الهيستريا . إلى الأنتقام المسعور مثلا ، أو الخروج بالسلاح على كل من أعطي النعمة والمال . ولقد "ملأ العربي الصحراء فخارا بقوته وعدته " [٣٦] شعورا منه بالحرية والإباء والشجاعة والشهامة .
Tالمسعوربالحرية العرب

والمرسلين. وإن أقصى درجات الجنون أن يدعو المريض نفسه أشرف الخلق وأحسنهم وأعظمهم على الإطلاق ووصيا عليهم وحسيبا عنده علم الأولين والآخرين . وان محنة الإنسان والإنسانية لهي في هذا المريض بالذات .

أما محمد فقد ظل خلال وجودنا في حضرة "فرويد" شارد الذهن كأنه غير موجود .

محمد الغريب :

مهما حاول ويحاول الباحثون طمس تاريخ المجتمع المكي ، الإجتماعي والنفسي ، في تلك الحقبة الممتدة بين ولادة محمد ودعوته (مدتها أربعون سنة تقريبا) فلابد من كشف ما أخفي وأهمل ، وإلقاء الأضواء على واقع مرير ، تخللته أنواع كثيرة من الأمراض النفسية والعقلية ، غالبا ما تؤدي ، إلى الموت ، دون أن يجرؤ أحد من أبناء ذلك المجتمع المهترئ الذي كانت تسوده شريعة المقتدرين ، المتسلطين، المستغلين، على كسر نير العبودية أو وضع حد لهذا الأستغلال الفاحش المتمادي.

لقد خاف "أبو طالب" فعلا على ابن اخيه ، محمد ، إما من المتسلطين ، الرافضين الرحمة والرأفة بالمحتاجين ، وإما من ذلك الوسط الجاهل البائس الحزين ، الجائع ، المنعزل عن المجتمع وتحركاته ، الرازح تحت وطأة الوساوس ، المستسلم للأمراض ، والأوهام ، والخرافات . وإما من مرض كان يعانيه محمد نفسه . وربما للأسباب التي ذكرنا جميعها .

"أبو طالب " على كل حال ، مضطر أن يستخدم ابن أخيه ، كيفما كان ، سواء في رعاية الغنم قبل أن يلحظ ما كان يراه على ابن أخيه في حداثته ، أو في السفر معه إلى الشام لحفارة قوافل قريش . ليعينه ويحصل بعرق جبينه قوته اليومي.

"يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي . وليس ما يمدنا وما يقومنا ولا تجارة " [٤٣]. كلمات طالما سمعها محمد على لسان عمه الذي لا أرض له للزرع ، ولا نخيل ، ولا إبل ، ولا مال ، ولا شيء آخر.

---

[43] السيرة الحلبية ١\١٤٧، ابن سعد ١\١١٩.

هل أستطاع "أبو طالب" اقتلاع محمد من وسطه الفقير البائس هذا ؟

لا شك أن محمدا رافق عمه ، في رحلة أو أكثر ، إلى الشام . مما ساعده على مقاومة الأمراض العقلية والنفسية التي كان يتخبط بها أبناء وسطه . إلا أن نوعا من الأغتراب (Alienation) [٤٤] كان يرافق هذا الشاب . ولعله الأغتراب التكويني (Developmental Alienation) ، الذي "يحصل لدى أولئك الذين يشعرون بضياع حياتهم الفردية وما فيها من علاقات وروابط بشكل لا يسمح باعادتها من جديد . وهذا يأتي نتيجة لنمو الحياة خصوصا بالنسبة للطلبة [٤٥] ذلك النمو الذي يعني ظهور أشياء جديدة وضياع أشياء وأمور أخرى مرت في مراحل سابقة من الحياة"[٤٦]

ومحمد ، منذ كفله جده عبد المطلب ، عاش حياة تخللها الأضطراب ، والقلق على المصير ، من جهة ، ورياضة "ميتافيزيقية" مع فريق من المكيين كان يجتمع ، في منأى عن صخب مكة وضجيجها ، للترويح عن النفس المتعبة والمثقلة بالهموم والآلام ، من جهة أخرى .

---

[44] Alienation : is the feeling of being isolated from certain aspects of one's environment . Alienation may occur when a person's emotional ties with another person , group, institution , or belief are disrupted and the person feels the attachment can never again be the same , sometimes entire groups become alienated.

There are many causes of alienation .

For example , alienation may occur when a group loses a leader who represented its dreams and hopes , or when a child discover the shortcomings of person believes that certain political , economic, or social institutions are impersonal and responsive to change.

Alienation takes different forms and may have various consequences . Alienated persons may become disoriented or hostile, feel helpless , withdraw within themselves , or reject the values society has established.

(Wolf Heydbrand , W. B . V I PP 351-352)

[45] في حياة محمد رجل ، عنده "علم الكتاب" كان يملي عليه الدروس كما سنرى.

[46] Gerald Reagen : "The Schools and Alienation " P.P. 321-327

خرجه د. قيس النوري : مجلة عالم الفكر – المجلد العاشر – العدد الأول ، ص ٣٣.

الغريب وبحيرا :

وإذ يخبئ محمد ، في عينيه الشاردتين ، ووجهه الممتلئ أسى وحزنا ، "رفضا كونيا " (Cosmic Alienation) غذته تلك المدرسة التي كانت تجمعه إلى "عالم بالكتاب" ورفقاء في الألم والبؤس ، مر ، برفقة عمه ، وهما في طريقهما إلى الشام بالراهب بحيرا [٤٧]، الذي ينفي كتاب السيرة ، والمؤرخون المسلمون ، وجود أي علاقة بينه وبين محمد ، سوى تلك الزيارة الوحيدة التي فيها رأى كل صاحبه فتنبأ الراهب لمحمد ب مستقبل عظيم .

من أين لراهب يسكن صومعة بعيدة بعدا شاسعا عن مكة أن يعرف ما يخبئه المستقبل لصبي مثل محمد لم تقع عليه عينه من قبل ؟

علم الغيب ؟

لا !

ألم يكن دير الراهب بحيرا محطة للمسافرين من أهل مكة وممرا ؟ [٤٨]

ألم يحدث المكيون هذا الراهب عن الفتى محمد ... وسلوكه الشاذ واغترابه ، وعلاقته بفقراء مكة المسحوقين ... واللقاءات التي كانت تعقد في غار حراء ؟

ألم يحمل المسافرون القرشيون رسائل من القس ورقة بن نوفل [٤٩]، أسقف مكة ، إلى الراهب بحيرا ، ومن الراهب إلى القس ؟

---

[47] بحيرا : (النصف الثاني من القرن السادس) : راهب أقام في جزيرة العرب وابتنى له صومعة على طريق القوافل وكان يدعو البدو الى التوحيد .

[48] ورد في السيرة الحلبية ١\١٣٠-١٣٥ "وكانت قريش كثيرا ما تمر على بحيرا فيصنع لهم طعاما كثيرا "

[49] كنت أتكلم عن القس ورقة بن نوفل ، بحضور سيدة عربية "مندائية" ، فهمست لي قائلة "ورقة الذي تتحدث عنه هو "صابئي" الأصل (أبيوني) . أتخذ هو وبعض المكيين النصرانية معتقدا لهم ، ليستعينوا بأهل الكتاب على الوثنيين . وبعدما أنتشر الأسلام في جميع انحاء الجزيرة دخل معظم "المندائيين " في الأسلام ليحموا أنفسهم من الذبح والتعذيب" .

المؤرخون اختصروا المسافة . ابتلعوا الوثائق ، إرضاء للخلفاء والأمراء ، وعامة الناس ، واحتراما للوحي .

النزاعات المسيحية – النصرانية كانت تحتضر ، في ذلك الوقت ، على أرض الجزيرة . فماذا كان يقول ورقة للراهب بحيرا ؟

ألم يتفقا معا على توحيد المسيحيين والنصارى والتصدي لأحكام المجامع التي كانت تعقد لتنظر في انشقاق بعض رؤساء الكنائس والأديار عن الكنيسة الجامعة الأم ؟

البريد بين غار حراء وبين دير بحيرا ، في بصرى – الشام ، هل ضاع تحت سنابك خيول الفتح الإسلامي ؟
هل الوحي عاصفة أم زلزال أم هو الطوفان العظيم ؟

أسئلة تستيقظ اليوم لتقف على أنقاض العقل المدفون المستور . ولقد سئمنا البكاء على الأطلال ، وعبادة الأصنام والأنصاب . فليس محمد وحده الغريب بل كلنا غرباء . وكلنا بلا واقع ، وبلا جاذبية . كالأرض الهشيم صرنا . نباتنا وشجرنا يبس وتكسر ن فلماذا الخوف من العواصف والزوابع ؟
هذه الأسئلة يجب أن تقتحم معاقل التاريخ ودهاليزه فتكسر الصمت الرهيب .

وفجأة تزوج محمد :

المؤرخون فجأة زوجوا محمدا من خديجة بنت خويلد . "كان في الخامسة والعشرين من عمره عندما غلفت خديجة قلبه بموجة

الا أن الدكتور اسد رستم يقول : "الأبيونيون Ebionaion" تفرعوا عن كنيسة اورشليم وتفرقوا مبشرين معلمين أن المخلص هو ابن يوسف وان بولس مرتد عن الدين القويم متمسكين بالأنجيل الى العبرانيين مستمسكين بالناموس متخذين اورشليم قبلة لهم في صلواتهم .
وأبيونيم كلمة عبرية معناها الفقراء " (كنيسة انطاكية منشورات النور ، ج١ ص ٣٣) ، وأفاد انطون سعادة يقول " كان محمد يتجه في صلاته الى اورشليم ، فلما وجد اعراض اليهود عن دعوته ورفضهم ورفض المسيحيين الأقرار باستقلال دعوته وصحة نبوته عدل عن قبلة اورشليم وجعل مكة قبلته الجديدة " (الأسلام في رسالتيه المحمدية والمسيحية ، الطبعة الثالثة ١٩٥٨، ص ١٨٢).

من الحب العارم ، وكانت هي في الأربعين عندما شعرت لأول مرة في عمرها بعذوبة الدفء .... [٥٠]
انه ثالث رجل في حياتها ، ولكنه الرجل الفريد والوحيد الذي تسرب إلى عروقها من بين أرياف مقلتيها وانحدر إلى قلبها من فوق مشالح الغمام .

"ولم يكن محمد أقل منها تحسسا بالقيمة التي تحمل على كتفها صدق الحنين ، فأخذها بين يديه ، كما تأخذ الزهرة قطرة الطل ، وحدب عليها ، كما تحدب الحدقة على العين " [٥١]

بدون تمهيد ، تزوج محمد من خديجة . الأسباب الأقتصادية التي دفعت إلى هذا الزواج "الموفق" وحرضت عليه مستبعدة !

هكذا شاء المؤرخون . إذ شاء اللة ابن خمس وعشرين سنة يتزوج امراة ، في عقدها الخامس – حسبما قالوا – لها ثلاث بنات [٥٢]، من زوجها الأول (؟) ، نسبهن البعض إلى محمد .

الزواج الصفقة :

---

[50] نستغرب هذا الحكم المطلق ، من الكتاب . كأنهم خديجة .. أو كأنهم عرفوا هذا الدفء بأنفسهم "لقد بلت خديجة الدنيا وعرفت الرجال ، وتزوجت مرتين ، بأثنين من سادات العرب واشرافهم :عتيق بن عائد المخزومي ، وأبي هالة بن زرارة التميمي (هنالك مصادر تقول ان خديجة تزوجت ابا هالة ، ثم عتيق ابن عائد) ، واستأجرت غير واحد من الكهول والشبان فما رأت فيمن عرفت ، ذلك النمط الفريد من الرجال " (عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) نساء النبي ، دار الكتاب العربي ، ص ٣٣) .

[51] سليمان الكتاني : المصدر السابق ن ص ٣٩.

[52] بنات خديجة هن :

(١) زينب : تزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبيد العزى بن عبد الشمس هو ابن خالتها ، وولدت له عليا – مات صغيرا – وامامة . وعندما بعث محمد اسلمت زينب حين اسلمت امها خديجة وبايعت محمدا هي واخواتها .

(٢) رقية : تزوجها عتبة بن ابي لهب بن عبد المطلب قبل الأسلام . ولما بعث محمد رسولا ، امر ابو لهب ابنه بطلاقها ، فتزوجها عثمان ، وكان ذلك قبل الهجرة الأولى الى الحبشة ، لأن عثمان عندما هاجر كانت رقية بصحبته .

(٣) أم كلثوم : تزوجها عتيبة بن أبي لهب بن عبد المطلب قبل الأسلام . واسلمت حين اسلمت امها ، وفارقت زوجها في نفس الوقت الذي فارقت به رقية زوجها عتبة . (حسن الأمين : دائرة المعارف الأسلامية الشيعية ، المجلد الأول ، الجزء الأول (ط٢) ، دار التعارف للمطبوعات ، ص ٢٧) . قد يكون سها عن بال الأمين ذكر "هند" ابن خديجة من "ابو هالة" قيل في جمهرة الأنساب (١٣٣) والأستيعاب ٤\١٥٤٥) وكان "هند" غلاما لم يشب عن الطوق عندما تزوج محمد من خديجة " .

قصة هذا الرواج "التجاري" أولها حديث "أبو طالب" إلى محمد : "يا ابن أخي . أنا رجل لا مال لي ، وقد اشتد الزمان علينا وألحت علينا سنون منكرة ، وليس لنا مال ولا تجارة ، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة تبعث رجالا يتجرون في مالها ويصيبون منافع ، فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من أمانتك وطهارتك ، وإن كنت أكره أن تأتي الشام واخاف عليك من يهود ...
وقد بلغني أنها استأجرت فلانا ببكرين ، ولسنا نرضى لك بمثل ما أعطته ، فهل لك في أن أكلمها ؟
"قال محمد : لك ما أحببت يا عم ..." [٥٣]
نضع خطين تحت : "يتجرون في مالها ويصيبون منافع " وخطين تحت : " لما يبلغها عنك من أمانتك وطهارتك " لنسأل :
أولا : هل كان "أبو طالب" يعرف بما يخطط لمحمد ؟

ثانيا : من الذي كان يبلغ خديجة عن أمانة محمد وطهارته ؟

ثالثا : كيف عرف محمد بالأمانة والطهارة ؟

تجارة ، ومنافع ، وطمع بالزواج من خديجة الثرية ، الساكنة في علية ، حولها المؤخون حبا عظيما جامحا !

نهاية القصة كانت يوم عادت القافلة إلى "ام القرى" من رحلة الصيف إلى الشام . "المسافرون قد استغرقتهم نشوة حالمة منذ بلغوا "مر الظهران " [٥٤] على مقربة من مكة واشرأبت أعناقهم إلى معالمها التي لاحت لهم من بعيد ، وتناديهم في لهفة واشتياق " .

---

[53] رواية الزرقاني عن الوافدي . أبن هشام ١\١٩٩. السمط الثمين للطبري ، ص ١٣ ، وفي الطبري ٢\١٩٦، ان خديجة هي التي عرضت عليه مباشرة أن يخرج في مالها تاجرا الى الشام . أنظر ايضا "نساء النبي" (بنت الشاطئ) ص ٣٠.

[54] الظهران : واد قرب مكة وعنده قرية يقال لها مر الظهران وروى ابن شنميل عن ابن عون عن ابن سيرين : ان ابا موسى كسبا في كفارة اليمين ثوبين ظهرانيا ومعقدا ن قال النضر : الظهراني من مر الظهران . وبمر الظهران عيون كثيرة ونخيل لأسلم وهذيل وغاضرة ، وقد جاء ذكرها في الحديث (معجم البلدان . الحموي ، م ٤ ص ٦٤)

"لكنه وحده (محمد) من بين هؤلاء جميعا انطوى على نفسه يكابد أشجانه التي هاجها مرور القافلة قريبا من الأبواء " في طريق عودتها إلى مكة .

"وعبثا حاول تابعه المرافق أن يغريه بالتطلع إلى "أم القرى" أو يشغله بالحديث عما ينتظره هنالك من تقدير السيدة الثرية الكريمة ، التي اختارته ليخرج في مالها إلى الشام ، ووعدته بأن تعطيه ضعف ما كانت تعطي غيره ممن استأجرتهم قبله ..."[55]

جعلوا من زواج محمد وخديجة أسطورة رومانطيقية : "علا ضجيج الركب مختطا بهتاف المستقبلين ورغاء الإبل التي أناخت على ثرى مكة مطمئنة ، فمضى محمد على بعيره قاصدا دار خديجة بعد أن طاف بالبيت العتيق (؟).

"وكانت خديجة هناك في دارها ، ترقب الطريق من علية لها في لهفة مشوبة بشيء من القلق [56] وإلى جانبها غلامها ميسرة يملأ أذنيها بحديث مثير عن رحلته مع محمد [57]
وإذا ظهر لها أخيرا يدنو من الدار بطلعته الوسيمة وملامحه النبيلة ، اندفعت تستقبله لدى الباب مرحبة ، مهنئة بسلامة العودة ، في صوت يفيض عذوبة ورقة وحنانا .

"ورفع إليها وجهه شاكرا ، فما تلاقت الأعين حتى عاد فخفض بصره ، ومضى يقص عليها أنباء رحلته وربح تجارته وما جاءها به من طيبات الشام ...

"وأنصتت إليه شبه مأخوذة ، حتى إذا ودعها ومضى ، ظلت واقفة حيث هي ، تتبعه عيناها إلى أن توارى في منعطف الطريق " [58]

بيت خديجة يشتعل بنار الحب ، كل شيء تغير في تلك العلية بل في كل الحي الراقي ، خديجة لا تنام ، هو ابن خمس وعشرين سنة وهي بنت اربعين ، لا بأس ، عندها علية ، ومال ولها جاه ونفوذ وسلطان وتجارة .

---

[55] بنت الشاطيء ، المصدر السابق ، ص ٣١.
[56] قلق من ماذا ؟ أهو قلق الحبيبة ؟
[57] ما عساه قال لها ميسرة ؟ هل قال لها محمد يطمح بالزواج منك ؟
[58] بنت الشاطئ : المصدر السابق ، ص ٣٢ .

"أتراه يستجيب لعاطفة أرملة كهلة في الأربعين من عمرها وهو الذي انصرف حتى اليوم عن عذارى مكة وزهرات بني هاشم الناضرات " [٥٩] ؟

أجل ! لقد استجاب محمد لهذه العاطفة ويقولون : عمر خديجة أربعون سنة ، ولكنها أنجبت له ولديه : "القاسم " و"عبد اللة" اللذين ماتا طفلين ، كما رزق منها ابنته فاطمة .

الواضح هنا أن خديجة لم تكن في الأربعين حسبما ادعوا ، على كل حال الزواج ، الصفقة ، تم . "نفيسة بنت منية " صديقة خديجة جاءت محمدا تسأله : فيم العزوف عن الدنيا وقضاؤك على شبابك بالحرمان ؟ "هلا سكنت إلى زوجة تحنو عليك وتؤنسك وتزيل وحشتك " ؟

بكى محمد ، إذ لم ينفعه إمساك دمعته . قال لمحدثته نفيسة :

- ما بيدي أتزوج به ...

قالت على الفور :
- فإن دعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ، ألا تجيب ؟ عندئذ أدرك محمد أنها تعني خديجة .

بعد أخذ ورد بين محمد ونفيسة وخديجة استغرق فترة قصيرة جاء محمد وفي صحبته عماه (أبو طالب وحمزة ، ابنا عبد المطلب) بيت خديجة . وإذا كل شيء مهيأ للزواج ... السريع ... الصفقة ؟!

أبو طالب قال :
"أما بعد : فإن محمدا ممن لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا ، وإن كان في المال قل فإنما المال ظل زائل وعارية مسترجعة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ... " [٦٠]

---

[59] المصدر نفسه ، ص ٣٤.

[60] ابن هاشم : السيرة ١\٢٠١.

لماذا يرغب شاب في الخامسة والعشرين ، أرملة جربت زوجين ، ولها أولاد ؟

بل السؤال الأسبق : لماذا تأخر محمد عن الزواج حتى ذلك اليوم ؟

لقد أثنى ابو طالب على الموروث والمكتسب عند ابن أخيه ، الشرف والنبل ، ميزتان طبيعيتان عند قريش ... القبيلة الأكبر ... والأقوى ... هذا حكم مطلق أيضا ، هل يعقل أن لا يكون بين أبناء هذه القبيلة من ليس شريفا ولا نبيلا ؟ أم أن قريش صارت هكذا منذ بعث محمد نبيا ؟

ألم يتصد لمحمد بعض من رجالا ت قريش ؟

إنها المسلمات المطلقة (Postulates) لاأحب أن أقف عندها مكتوف اليدين . لماذا نغض الطرف؟ وهي ليست إلا مربعا صغيرا أرادوه لجاما للعقل . منذ أربعة عشر قرنا نقعوا العقل في ذلك المربع ، الصغير (الإيمان الأعمى) ومضوا يبنون عروشهم الواهية ، وقبورهم – القصور . وأعلنوا تفاهاتهم وجهالاتهم ، علينا ، دينا ، وعقيدة ، وشريعة ، وجعلوا الأنحناء للعروش والقصور – القبور ، علما إذ جعلوه فرضا وواجبا .
في يوم زفاف محمد على خديجة ، قارن أبو طالب (الذكي الواقعي التفكير) بين عقل محمد ومال خديجة . وكي لا ينتصر العقل على المال ، في تلك الليلة – الفرصة ، غلب ابو طالب العاطفة على العقل والمال فقال "وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ".

مال خديجة كان موجودا . ربما أخذته عن أبيها وربما عن زوجيها السابقين ، أو من تجارتها الواسعة . المهم أنه موجود وذو إغراء فعال . خديجة (المرأة ثرية ذات تجارة كبيرة .

عقل محمد وفضيلته موضوع سؤالنا . العقل يحصل من المجتمع وأولي العلم . الفضيلة رياضة نفسية يمارسها المستقرون عاطفة ، والزاهدون ، والمقتنعون بما هم عليه ، والمؤمنون بما يعتقدون ، وهذه أيضا يتعلمها الإنسان ممن يرافقه ويتبادل معه الآراء والأفكار . ولابد لتحصيل الفضيلة والعقل من معلم أو مرب يكون على علم

وفضيلة ومعرفة [٦١] . وقد كان محمد ، حقا ذا فضل وعقل . البرهان زواجه من تلك المرأة ذات العلية الزاهية والمال الكثير والمتاع .

" فأثنى عليه (أي على محمد) عمها (عمرو بن أسد بن عبد العزي بن قصي) وأنكحها منه ، على صداق قدره عشرون بكرة [٦٢]

"ولما انتهى العقد ، نحرت الذبائح ودقت الدفوف ، وفتحت دار خديجة للأهل والأصدقاء ، فإذا بينهم حليمة قد جاءت من بادية بني سعد ، لتشهد عرس ولدها الذي أرضعته ، ثم لتعود في الغداة ومعها أربعون رأسا من الغنم ، هبة من العروس الكريمة لتلك التي أرضعت محمدا زوجها الحبيب " [٦٣]

محمد ، إذن ، قدم عقله وفضيلته ، ورجولته ، وشبابه الغض ، فيما قدمت خديجة مالها وإبلها وغنمها وعليتها وربما جسدها وحكمتها .

ليلة الزفاف :

زواج غير متكافئ طبيعيا ، ماذا نقول فيه ؟

محكوم علينا أن نقول : هكذا اللة اراد . هكذا اللة أمر.

وتندت عينا محمد وهو يتفقد أمه (آمنه) فإذا يد لطيفة رقيقة تأسو الجرح القديم في حنان غامر ، وإذا به يجد في خديجة عوضا جميلا عما قاساه من طويل حرمان "[٦٤]

---

[61] "الطفل يولد مفلس المعلومات الخاصة ببيئته الخارجية خصب الأستعداد للأستقبال وخزن المعلومات الخاصة بكل خبرة يتعرض لها ويتكيف أي انه منظمة حيوية خام ، لها صفاتها الخاصة فعلا ، ولكنها شديدة التفاعل مع كل ما يحتك بها . هو أذن اجتماعي من صنع بيئته ، ولكنه تكويني من خلال وراثته " (د. الفت حقي : مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر ، العدد الثالث ، ص ٥٤).

[62] وفي رواية اخرى انه اصدقها اثنتي عشرة اوقية ذهبا : السمط ١٥. من أين اتى محمد بهذا الصداق ، ألم يأخذ من خديجة نفسها ؟

[63] بنت الشاطئ : المصدر السابق ، ص ٣٦.

[64] بنت الشاطئ : المصدر السابق .

محمد رأى في خديجة أمه آمنة ! ألم يشعر ، تلك الليلة بالخطأ ؟ ألم يظهر خجلا ؟ كيف كانت ليلة العرس؟ لعل اللة أنزل على محمد رسوله كبريل ليمسح بكفه الملائكي جسد محمد ويخلصه من العقد النفسية والجنسية والإحساس بالذنب . المشروع ، أصلا ، مشروع اللة . وبما أنه كذلك فاللة ملتزم بمحمد وخديجة حتى النخارع . فشل محمد ليلة العرس فشل اللة واللة لا يفشل .

نعود إلى فرويد . ان له رأيا سديدا في هذه المسألة .

فرويد يقول :

"إن الإحساس بالذنب يسبقه أغلب الأمراض النفسية المعروفة فهو السبب الدفين للخجل ، وضعف الثقة بالنفس ، وازدراء النفس ، والشك والتوجس ، وتجسيم التوافه ، والشعور بحقارة النفس ، والنقص ، والأكتئاب ، والمخاوف بأنواعها " [٦٥]

وليس ما يدعو الرجل إلى الخجل والخوف ، والتوجس والشك ، والأكتئاب ، مثل الشعور بأن المراة التي يضاجعها تشبه أمه ، أو هي بمثابة أمه (Oedipus Complex) [٦٦]
آل قريش وآل قصي وحليمة السعدية التي أعطيت أربعين رأسا من الغنم مكافأة لها وجميع المفيدين من هذا الزواج التجاري ، الصفقة ، لن يعرفوا ما إذا كان محمد قد أشبه في تلك الليلة أمه ، فعجز عن المضاجعة وضعف ، أو أنه استحوذ على خديجة وقلبها حتى انساها ابن المخزومي ، وابن التميمي ، اللذين هما أيضا من سادات العرب وأشرافهم .

---

[65] فرويد : المصدر السابق ، ص ٢٠٩.

[66] " التعلق الشديد بالأم يؤدي إلى الأمتناع عن الزواج أو ينزع بصاحبه الى الزواج من امرأة تكبره " (الدكتور أحمد عزت راجح اصول علم النفس ص ١٤٨)

Oedipus : was a king of Thebes in Greek Mythology . He unknowingly killed his father and married his mother . many ancient authors wrote different versions of the story of Oedipus.

The terms Oedipus complex was first used by Sigmund Freud .

(R.T. Ellickson : W.B.E. V 14 PP 511-512)

في أسوأ الأحوال هنالك اللة المسؤول عن نجاح تلك الليلة كما عن فشلها . جبريل في مكتبه ... ينتظر الأوامر من الرب .. الملك .. الحي ا.. القيوم . خديجة عندها الخبرة الكافية . وفي خزانتها طيبات الشام : اللوز والجوز والعسل والزبيب ، وسيظل محمد يأكل من هذه الطيبات إلى أن يفرجها اللة عليه .

دم البكارة على سروال خديجة ليس شرطا في عقد الزواج . هي أرملة مرتين ولها أولاد ، خديجة إذن لن تعلق السروال على الباب . آل قريش وآل قصي والأصدقاء والمنتفعون لن يسألوا عن الأحمر . لن يسألوا عن السروال . سيأتون إلى التهنئة ... ليأكلوا ويشربوا . الحديث عن البكارة ، العزيزة الشرف ، لن يأتوا عليه . عرس الحي الراقي هو عرس اللة ورسوله جبريل فلا احد يجرؤ على السؤال .

ولم يعن مكة من أمر الزوجين السعيدين سوى ان زواجا ربط بيم محمد بن عبد اللة بن عبد المطلب بن هاشم القرشي وبين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزي ابن قصي" [٦٧]

بنت الشاطئ شاهدة زور :

تقول السيدة عائشة بنت الرحمن (بنت الشاطئ) :
"ولكن التاريخ تلبث بعد بضع عشرة سنة ليسجل يوم العرس المشهود بين أيامه الخالدات على الحقب والدهور .

وقد انصرف إلى حين ، تاركا هذين الزوجين ينعمان بأطيب حياة زوجية شهدتها مكة ويترشفان على مهل رحيق ود صاف عميق ، سيظل حديث الزمان ...

" واستغرقا في هناءتهما خمسة عشر عاما ، ناعمين بالإلفة والأستقرار ، وقد أتم اللة عليهما نعمته فرزقهما البنين والبنات " [٦٨]

---

[67] وأم خديجة هي فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن هرم بن رواحه . الطبري ٣\١٧٥، الأستيعاب ٤\١٩١٧، ونسب قريش ٢٣٠.
[68] بنت الشاطئ : المصدر السابق ، ص ٣٧.

لست أدري كيف عرفت بنت الشاطئ ذلك . هل تقول لنا أديبتنا من أين استوحت هذا الكلام ، وكيف أتيح لها تجسيد هذا التخيل الجامح ؟

لنفترض أن أخا للأديبة السيدة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) أحب امرأة تكبره بخمسة عشر عاما ، ولم تكن أرملة مثل خديجة بنت خويلد ، فهل سترضى أديبتنا على هذا الحب ، وتشجع أخاها على الزواج من هذه المرأة أم أنها ستقيم الأرض على رأس أخيها ... وترفض أن تقعدها حتى يتراجع الشقيق ؟

نحن نعرف الجواب سلفا يا سيدتي.

لن نكثر الأسئلة إلا أننا سنلقي عليك مسألة واحدة فقط . إليك يا سيدتي سؤالنا :

لقد قلت في كتابك "نساء النبي " ما يلي :
" ولم تدهش مكة حين اعلن نبأ المصاهرة بين اعز صاحبين وأوفى صديقين (محمد وأبي بكر) ، بل استقبلته كما تستقبل أمرا طبيعيا مالوفا ومتوقعا . ولم يجد فيها أي رجل من أعداء الرسول أنفسهم موضعا لمقال ، بل لم يدر بخلد واحد من خصومه الألداء ، أن يتخذ من زواج محمد صلعم بعائشة مطعنا أو منفذا للتجريح والأتهام ، وهم الذين لم يتركوا سبيلا للطعن إلا سلكوه ، ولو كان بهتانا وزورا ...

"وماذا كان عساهم أن يقولوا؟ ..

"هل ينكرون أن تخطب صبية كعائشة ، لم تتجاوز السابعة من عمرها على أبعد تقدير ؟ [٦٩]

لكنها قد ذكرت قبل أن يخطبها (محمد بن عبد اللة) على (جبير بن مطعم بن عدي) بحيث لم يستطع ألو بكر أن يعطي كلمته لخولة بنت حكيم ، حتى مضى فتحلل من وعده لأبي جبير [٧٠]

[69] ولدت عائشة بمكة بعد أربع سنين أو خمس من أعلان الأسلام (توفيت سنة ٥٨ه\٦٧٨م) سميت (أم المؤمنين) . كانت المحرضة على علي بن أبي طالب بعد مقتل عثمان وهي صاحبة الجمل في الموقعة التي سميت بموقعة الجمل . عدت عند فريق من المسلمين مرجعا في الروايا والحديث.

"فهل ينكرون أن يكون زواج بين صبية في سنها وبين رجل اكتهل وبلغ الثالثة والخمسين ؟
وأي عجب في مثل هذا وما كانت أول صبية تزف في تلك الليلة إلى رجل في سن أبيها ، ولن تكون كذلك أخراهن ؟ لقد تزوج عبد المطلب الشيخ من هامة بنت عم آمنة في اليوم الذي تزوج فيه عبد اللة أصغر أبنائه من ترب هالة (آمنة بنت وهب).
وسيتزوج عمر بن الخطاب من بنت على بن أبي طالب وهو في سن فوق سن أبيها .
ويعرض عمر على أبي بكر أن يتزوج ابنته الشابة حفصة وبينهما من فارق السن مثل الذي بين الرسول وعائشة "[٧١] [٧٢]

عصابة تهندس لنفسها كما تشاء ، وتفعل ما تشاء .

سؤالنا يا سيدتنا الأديبة ، عن تلك الطفلة التي ألقوا بها إلى حضن محمد – الكهل ، مثلما قلت : إننا نسأل عن مصير تلك السيدة – الطفلة ، عن مستقبلها ، عن آلامها وأمراضها النفسية التي سببها لها هذا الزواج الجائر المتسلط .

---

[70] فلو رجعنا الى حديث (خولة بنت حكيم) رسولة محمد الى ابي بكر وزوجته ام رومان ، تخطب له عائشة ، وقرأناه بدقة ووعي لأتضحت المسألة . تقول خولة : دخلت بيت أبي بكر فوجدت ام رومان ام عائشة فقلت لها : أي ام رومان ، ماذا أدخل اللة عليكم من الخير والبركة ! قالت : وما ذاك ؟ اجبت أرسلني رسول اللة أخطب له عائشة ! فقلت : وددت ، انتظري ابا بكر فانه آت .. وجاء ابو بكر فقلت له : يا ابا بكر ماذا أدخل اللة عليك من الخير والبركة ! ارسلني رسول اللة أخطب عائشة .. قال وقد ذكر موضعه من الرسول : - وهل تصلح له ؟ .. انما هي ابنة اخيه .. فرجعت الى رسول اللة فقلت له ذلك فقال : ارجعي اليه فقولي : انت اخي في الأسلام ، وانا اخوك وابنتك تصلح لي.
فأتيت ابا بكر فذكرت له فقال : - انتظري حتى ارجع .. وقالت ام رومان تجلو المواقف للخطبة : - ان المطعم بن عدي كان قد ذكر عائشة على ابنه جبير ولا واللة ما وعد ابو بكر شيئا قط فأخلف . فدخل ابو بكر على مطعم وعنده امرأته ام جبير – وكانت مشركة – فقالت العجوز : - يا ابن أبي قحافة ، لعلنا ان زوجنا ابننا ابنتك ، ان تصبئه وتدخله في دينك الذي أنت عليه؟ .فلم يرد عليها ابو بكر بل التفت الى زوجها المطعم فقال : ما تقول هذه ؟ أجاب : انها تقول ذلك (ما سمعت) . فخرج ابو بكر وقد شعر بارتياح لما احله اللة (؟) من وعده ، وعاد الى بيته فقال لي : أدعى لي رسول اللة فمضيت الى الرسول فدعوته فجاء بيت صديقه ابي بكر فانكحه عائشة وهي يومئذ بنت ست سنين أو سبع وكان صداقها خمسمائة درهم " (الطبري ٣\١٧٦-١٧٧، السمط ٣١، السيرة ٤\٢٩٣، الأصابة ٨. (بنت الشاطئ : المصدر نفسه ، ص ٦٢) .
[71] ص ٦٦-٦٧
[72] هناك مصادر شيعية على الأخص تشير الى ان النبي تزوج عائشة ثم حفصة ليضمن لنفسه صداقة أبي بكر وعمر.

ستقولين : إنها مشيئة اللة . أليس كذلك ؟

ولكن الكارثة التي حلت بنا نحن المسلمين بدأت من هناك من زواج جائر ... سبقه زواج جائر مثله ... وتلاه زواج على هذا النمط الفاجع الفاجر . ثم آخر ، حتى الثاني عشر ... وكان كل زواج يتم بأمر اللة ومشيئته ، إنها الكارثة حقا ، المسلمات العمياء ، الطوق في العنق ، القفل على الشفتين ، مشيئة اللة والرسول !

ما رأي سيدتنا الأديبة لو جاء رجل في العقد السادس أو الخامس يعمل قاضيا شرعيا في الأزهر ، يخطب طفلتها بنت العاشرة أو الثانية عشرة ، ولا نقول السابعة ؟ هل ستوافقين يا سيدتنا الأديبة ؟

جوابك أخذناه من كتابك نفسه ... وأنت تعلقين على بعض المستشرقين . نطلع القراء عليه .
تقول السيدة الأديبة بنت الشاطئ :
"لكن نفرا من المستشرقين يأتون بعد نحو ألف وثلاثمائة عام من ☐ ذلك الزواج فيهدرون فروق العصر والإقليم ويطيلون القول فيما

عادية اليوم ، في بعض المناطق الجبلية البعيدة بالولايات المتحدة "[٧٣]
لو ترى السيدة (بنت الشاطئ) كيف تنقض نفسها بنفسها . عادات وتقاليد من الماضي تأبى أديبتنا إلا فرضها علينا أمرا من اللة محكما .

ولا يزال المسلمون يتمسكون بكل ما دعا إليه محمد وفعل ، فهم يبذلون الغالي والنفيس من أجل المثابرة على طريقه المظلمة والمخيفة . إلا أن زواجا مثل زواج عائشة من محمد ، فلهم منه اليوم موقف غيره عن الماضي ، إنهم لا يقبلونه لبناتهم أبدا ، وهم على حق في ذلك بينما محمد عندهم هو المعصوم والمنزه عن الخطأ والفعل الشنيع . فأي مجتمع نبني لو كنا نحن المسلمين نزوج أطفالنا كما تزوجت عائشة من النبي ؟

وليس زواج محمد من عائشة الكارثة الوحيدة التي خلفها لنا النبي وخلفاؤه الأبرار.

محمد يغتصب عائشة :

لقد اغتصب (violated) محمد (النبي) الطفلة عائشة ليتخلص من العقد النفسية والجنسية التي ألمت به ، خلال زواجه من خديجة ، وبعد وفاتها . وسنحاول بقدر ما سمحت لنا الظروف من جهة والمصادر من جهة أخرى ، أن نلقي بعض الأضواء على هذه العملية الأفتراسية والأجواء التي رافقتها .

لا شك أن محمدا تحرر من خديجة ، الكابوس – مذ لفظت هذه السيدة نفسها . إلا أنه وقع ضحية الشوق إلى فض بكارة والزواج عذراء ، وليس الأمر الثاني أسهل من الأول

الكتنزين وصدرها العامر ، لأعتقاده بأن مواقعة صبية تضج بالدفء والحياة عمل مستحيل فهو قوية وهو ضعيف . وهي جريئة وهو متردد ، وهي مطمئنة وهو قلق ممزق العواطف والمشاعر . وإن الشعور بالعجز لهو العجز نفسه ، بينما الشعور بالقوة هو القوة عينها .

فما الحيلة إذا ؟

يجب أن يكون هنالك حل .

وكي يكون الحل المطلوب ، لابد من ضحية ، والضحية موجودة ، إنها عائشة بنت أبي بكر ، الطفلة الببغائية (Verbalism) التي لا تملك سوى القبول والإستسلام ، وفيها تتوافر الشروط ((المحمدية)) جميعها : هي طفلة لم يدخل قلبها الحب ، وبدون ارادة (involuntary) وبريئة ، وضعيفة ، وليست ذا جسد صارخ ومتطلب ، هذا فضلا عما لدى أبي بكر والد عائشة من أموال ونفوذ ، لا يستطيع محمد الأستغناء عنها .

تذكرها محمد جالسة على ركبتيه ، تعبث بشعر لحيته ، إذ كان (النبي) كلما جاء منزل صديقه أبي بكر ينادي عائشة كي تقبله ... وترفه عنه بغنجها ودلالها . وكانت عائشة ، كما سائر الأطفال ، ميالة إلى ذلك ، بالغريزة والطفولة . مع عائشة الطفلة كان محمد يسترجع أيام المراهقة فتنتفض مشاعره المكبوتة ، ويحتله الشوق إلى تلك الأيام الغابرة ، ليمزقه الحنين إلى امرأة لم يعرفها أحد سواه . يدا محمد على فخذي عائشة ، على بطنها ، على صدرها ، رأس عائشة بين يدي محمد ، وجه عائشة يتشعل ، كذلك وجه محمد ، ويسأل (النبي) نفسه عن مشكلته ... فيما عائشة تهيجه وتثيره (arouse) .
صورة عائشة الغنجة لم تفارق محمدا ، وكيف تفارقه ومعها كان يستعيد ثقته بنفسه ومتعته (pleasure).
بعد التأمل والتفكير عزم (النبي) على أن يغتصب عائشة ، ليتحرر من عقدة المتحكمة في طاقته الجنسية . ترى هل وجد الحل؟
بلى . لقد حل محمد مشكلاته النفسية كافة ، واستعاد فحولته الصحراوية فأخذ يتنقل من امراة إلى أخرى . بعد خديجة وسودة

وعائشة ، تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب [٧٤] (حافظة المصحف) ثم زينب بنت خزيمة (أم المساكين) [٧٥]، ثم أم سلمة (بنت زاد الركب) [٧٦] ، ثم زينب بنت جحش (الشريفة الحسناء) [٧٧]، ثم جويرية بنت الحارث (سيد بني المصطلق)

، ثم مارية القبطية (أم إبراهيم) [٨١]، ثم ميمونة بنت الحارث (آخر نساء النبي) [٨٢] [٨٣]

لقد أخذ بنا الحديث وتشعب . فما ينبغي أن نقوله ، في هذا الموضوع هو أن محمدا ، كما يتضح من خلال تنقله بين النساء ، قد حرر نفسه من العقد والأزمات العاطفية التي عاناها ، ويعود الفضل في ذلك إلى السيدة عائشة (أم المؤمنين) التي وهبها والداها ، أبو بكر وأم رومان ، لمحمد علاجا عظيما فوهبته المرودة ... والعملقة (Gigantism).

اللة والجنس والنبوة :

اللة مع محمد ، مع نساء محمد ، اللة حق ، الحق مع محمد ، الحق مع نساء محمد . أين الجنس؟ لماذا أرسل المقوقس القبطي ، مارية وسيرين وذهبا إلى محمد ؟ لماذا ألقى محمد عباءته على الأسيرة صفية ؟ لماذا استولى محمد على الأسيرة

---

[80] هي رملة بنت ابي سفيان ، زوجها عبيد اللة بن جحش الأسدي ، ابن عمة محمد ، اسلم عبيد [illegible]رانية ، علم محمد

جويرية وتزوجها ؟ لماذا يكتب النبي إلى النجاشر يطلب منه أن يزوجه على أم حبيبة ؟

ألأن اللة قد شاء ذلك ، أم هي مشيئة الجنس ... (الشبق) الذي فلت من بين القيود والعقد ؟

يظهر أن النبي كان ينادي بانتهاء عهد الكبت والقهر عند الرجل وسيادة الغريزة الحيوية على العقل ، ويدعو إلى إحياء قدرات الإنسان الخيالية في مقابل قدراته المنطقية ، ويجعل من الأستمتاع بالحب والجمال هدفا أسمى لحياة الإنسان .

إن زواج محمد من هذا العدد من النساء ... يصلح لأن يكون أساسا لجزء من فلسفة هربرت ماركيوز [٨٤] الداعي إلى إزالة القيود والتحريمات عن الجنس ، والمطالب بسيادة الجنس ، إذ هو يحصر الطبيعة الإنسانية في البعد الجنسي الشبق [٨٥]

والذي يثير العجب هو ادعاء المؤرخين أن ليس في حياة محمد منذ نشأته وحتى نهاية عقده الرابع ، حوادث اجتماعية تستدعي البحث والأستفسار ، سوى زواجه من خديجة ، وإعلانه نفسه رسول من اللة ، فالأمور عند هؤلاء المؤرخين حدثت فجأة :
وحي من اللة نزل على محمد والناس في أعمالهم منشغلون ... وفي قضاياهم لاهون . مثل البرق الخاطف كانت تأتيه الأوامر من عند اللة .

أمره اللة أن يتزوج من خديجة ففعل بما أمر . أنزل عليه الإسلام ودعاه أن يبلغ الناس ... فأسلم وبلغ . كذلك أمره بالزواج من عشر نساء وطفلة ، بعد خديجة ، فنفذ الرسول الأوامر ، كلا في وقته ، مطيعا من غير تزمر أو تأفف ، وأنى له أن يتأفف أو يعتذر .... وهو الرسول الذي (بعثة اللة رحمة للعالمين) ؟!

---

[84] هربرت ماركيوز Herbert Marcuse فيلسوف امريكي من اصل يهودي الماني (١٨٩٨-١٩٧٩) . دعا الى احداث تغييرات ثورية في المؤسسات الأجتماعية .
[85] د. قيس هادي احمد : الإنسان المعاصر عند هربرت ماركيوز ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، طبعة اولى ١٩٨٠. ص ٢٢٠.

مسـلمات (Postulates). مسـلمات . جـدار ضـخم يقـف بـين الإنسان ونبالة حسه وشعوره . يفرض عليـك أن تصـدق . ويفـرض عليك أن تقبع آمنا مطمئنا .

فهذا ، مثلا ، الأستاذ أحمد السيد يردد ما قاله ويقوله المؤرخون : "وقد سارت حياة هذا الناشئ (محمد) سيرة عادية فمرت عليه السـنون وتوالـت الأعـوام بـدون حـادث اجتمـاعي يلفـت النظـر ، وأقصى ما روي أنه سافر فـي بعـض رحـلات القوافـل إلـى الشـام حينا وإلى الـيمن حينـا آخـر . وانتهـى بـه المطـاف بـزواج السـيدة خديجة بنـت خويلـد وهـي مـن فضـليات نسـاء قـريش وأغنـاهن . فعاش معهـا فـي خفـض مـن العـيش ، ورزق منهـا البنـون (هكـذا وردت) والبنات مات بعضهم كما يموت الأبنـاء وعـاش الـبعض كمـا يعيش الأبناء " [٨٦]

نحـن لا نطالـب بنبـي يختلـف عـن النـاس مـا دام إنسـانا . وإنمـا نطالب بالكشف عن أحداث تلك المرحلة من حياة محمد ، التي لا تزال غامضة .

ويقول أحمد السيد ايضا :
" وهكذا انقضى شباب سيدنا محمـد وولـى وأشـرف علـى نهايـة العقد الرابع من عمره دون ان يبدو من امره شـيء خـارق أو خـارج عن المالوف في قومه إلا اشتهاره بالصدق والأمانـة ومعنـى ذلـك أن المطالع لسيرة سيدنا محمـد يجـد نفسـه إزاء شـخص لا يكـاد يسجل له التاريخ حدثا هامـا ، والطـابع الـذي يميـز حياتـه أنـه لـم ينشغل بطلب العلم كبقية مواطنية ، إلا النادر القليل منهم ، فهم شعب أمي لا يقرأ ولا يكتب "

هذا الأصرار على أمية محمد لا يخدم مصلحة الإنسان بل يخـذلها ويجمدها . نحن نؤمن بان للإنسان طاقة لو أطلق لها العنان لأتـت بالمعجزات . ومحمد على كل حال لم يعـش فـي غابـة نائيـة عـن الناس ، وإنما في بلد اشتهرت بالتجارة وحركة المواصـلات والنقـل .

---

[86] أحمد السيد المصدر السابق ص ٧٧-٧٨.

ومحمد هو ابن تلك البلاد العظيمة والعريقة ، وابن قريش ذات السيادة الدينية والتجارية ، وصاحبة اللهجة التي غلبت اللهجات العربية كلها ، لا ابن الكهف أو الغول أو حورية البحر (Kalypso) [٨٧]. وليس محمد كفتى غابات أفيرون (Aveyron) الإنسان – الحيوان . بل هو ابن مدرسة دينية وسياسية واجتماعية ذات جذور ضاربة في التاريخ والأرض .

إليك قصة فتى غابات افيرون (Aveyron):

"في أواخر القرن الثامن عشر أثناء ظهور البوادر العلمية الأولى لفهم التطور العقلي والإنفعالي للإنسان عثر بعذ القناصة على طفل فى الثانية عشرة من العمر ، يجوب غابات أفيرون ، خارج مدينة باريس بفرنسا . وكان الطفل لا يتحرك إلا على يديه وقدميه ، يطلق أصواتا غير مفهومة تصدر عادة من حيوانات المنطقة ، ويهاجم بأسنانه وأظافره كل من يقترب منه . عندما عرض على فيليب بينيل (Philippe Pinel) (١٧٤٥-١٨٢٦) وهو من مشاهير الأطباء النفسيين الفرنسيين ، شخص الطفل على أنه حالة تخلف عقلي عميق غير قابلة للتحسن . ولكن تلميذه إيتار رأى ان شدة التخلف العقلي عند الطفل لم يكن سببها إلا انعزاله عن المجتمع الحضاري وحرمانه ، وبالتالي ، من تكوين استجابات اجتماعية يتعلمها الأطفال الآخرون لتعرضهم المستمر للمثيرات التي تولدها . ومع أن إيتار نشر ورقتين في سنة ١٨٠١ وسنة ١٨٠٧ تعبران عن خيبة أمله الشديدة لإخفاقه في تعليم الطفل الأعتماد الكامل على نفسه ، إلا أن الأكاديمية الفرنسية للعلوم أجمعت على أن الطفل أظهر تقدما ملحوظا عن الحالة التي وجد عليها . فقد تعلم المشي منتصبا وأصبح ينطق كلمات بسيطة . ويتعامل مع الأفراد المحيطين به بأسلوب أكثر تحضرا ، حصل هذا كله مع أنه كان متخلفا عقليا " [٨٨] وبقى طفل أفيرون على مرتبته الحيوانية .

بعد هذه القصة نسال :

---

[87] وهي في الأنكيزية (Mermaid) مخلوقة بحرية خرافية لها جسد امرأة وذيل سمكة .
According to popular belief , Mermaids had bodies that were half human and half fish (W.B.Encyclopedia V. 13 PP 342-343)

[88] د.الفت حقي : ثقافة الطفل ، مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر ، العدد الثالث ، ص ٥٣

- هل كان محمد أميا فعلا ؟
- كيف صار محمد بليغا وخطيبا وزعيما ؟

العلم ، اذن ، لا يؤمن بتلك المسلمات (Postulates) الطاغية على عقولنا . الطفل ابن بيئته . ابن بيئته . ابن مدرسته . وتاليا ابن كل ذلك العالم الذي يحيط به [٨٩].

"ومنذ أجيال طويلة موغلة في القدم ظهر الكائن الذي يسمى الإنسان الحكيم ، هذا المخلوق المتأخر في الزمان الذي انجبته الكائنات الحية والذي كان لابد أن يسيطر على الأرض ، أنه لم يكف عن تنمية علاقاته بالعالم الخارجي في نفس الوقت الذي أخذ ينتظم في جماعات ظلت تتسع وتتعقد يوما بعد يوم . وإذ تعلم ان يقهو القوى المادية وان يهذب غرائزه ويستخدم عقله ، وإذ خلق الصناعات والتقنيات والعلوم والفنون والفلسفات والقوانين والأخلاق بكل أجزائها أخذ يبتعد عن أصوله المتواضعه الأولى وظل يمعن عنها بعدا وبعدا " [٩٠]

هل أنقطع محم عن العالم الخارجي ؟

كيف صار محمد رسول اللة ؟

هل محمد إنسان أم لعبة بيد اللة ؟

هل محمد نبي ، أم زعيم سياسي ؟

إلى متى سنبقى هكذا ((آمنين مطمئنين)) وقد جمع محمد ((المعجزات الثلاثة)) : اللة والجنس والنبوة ، وكرس نفسه ((سيد العالمين)) و((خاتم المرسلين)) ؟

من أين جاء الأسلام ؟

---

[89] "فافنسان يكتسب ممن يحيطونه اكثر العادات والآراء .. ويستقي من اخلاقهم وعاداتهم ، ولا يستقيم له البقاء الا بمعايشة بيئه اجتماعية رضيها ام لم يرضها وارتضته ام لم ترتضه " (انظر روح العروبة تأليف عبد اللطيف شرارة ص ٢٢ ـ٢٣

[90] Rostand , Jean : L, Homme.
ترجمة إلى العربية الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا ، بعنوان "الإنسان " ... منشورات عويدات ، الطبعة الأولى (١٩٦٥) ص ١٢٧.

الأستاذ أحمد السيد نفسه يقول أيضا بلسان المؤرخين المسلمين جميعا :
"وفجأة ، وفي هذه الفجاءة السر كل السر ، إذا هذا الرجل الذي جاوز سن الشباب بحماسته وأوهامه وخيالاته واندفاعاته ، ودخل في مرحلة الرجولة ، حيث يسيطر العقل (؟) وتهدأ العواطف الثائرة (؟) وتبدد الأحلام والأوهام ، فيتقبل الحياة والأوضاع كما هي ، ولكن سيدنا محمدا يشذ عن المألوف وسنن الحياة ، فإذا به ينقلب في رجولته ، بين عشية وضحاها إلى بركان ثائر فوار يغلي بالحياة في أرفع مظاهرها ، ويرمي بالنار الشرر والحمم ضد الأباطيل والفساد والضلال والشرك باللة وعبادة الأصنام التي كانت هي دين العرب [٩١]، ويبشر بالنور نور الإيمان باللة الواحد الأحد ، الفرد والصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد ، المنزه عن الحلول والشبيه والجسد " [٩٢]

وهكذا تم القضاء على المستندات ، والوقائع ، ذات الإشارات الجريئة الصريحة . وانقرض كل من عنده العلم أو بعضه . وجوه كريمة غيبها "التأريخ " . فيما برزت وجوه وتألقت أخر ، وهي غير جديرة بما أعطيت .

- بحيرا ، ذلك الراهب الجليل ، صاحب البيان الخطير "إن الجنة خلف هذا الجبين (يقصد محمدا) ، فاحفظه من عيون الشائنين " [٩٣] ماذا حل بديره وكتبه وسجلاته ؟
- ورقة بن نوفل ، أسقف مكة ، سيد حراء ، ماذا فعلتم به أيها المؤرخون ؟

"لم يختل وحده – محمد – في غار حراء ، فلقد كان معه : ثويبية ، وحليمة السعدية ، وأم أيمن ، وأبو ذؤيب ، وجميع الفتيان الذين تراكض معهم في البادية حول الخيام وفي رعاية الأغنام (....)

---

[91] نسي الأستاذ أحمد السيد أن من العرب من كان يدين باليهودية وان فريقا آخر كان يدين بالنصرانية ، وان فريقا ثالثا كان يؤمن بوحدانية اللة دون ان يعتقد بأي دين سوى الوثنية . وقد قال الأستاذ خزعل الماجدي : ((... والتوحيد لم يبدأ بالأسلام ولكنه انتهى بالأسلام)) (مجلة آفاق عربية ، المصدر السابق ص ٣٦) .

[92] أحمد السيد : المصدر السابق ص ٧٨.

[93] قالها بحيرا ل (أبو طالب) وكان محمد في الثانية عشرة من عمره . انظر "محمد شاطئ وسحاب " كتاني .. المصدر السابق ص ١٠٨.

وكان معه ميسرة وجميع الغلمان الذين كانوا يقطعون أوصالهم على دروب القوافل " [٩٤]

نحن أيضا نقول : كذلك . إلا أننا نحاول أن نذهب أعمق مما تقولون . ندعو إلى الأستقراء (Induction) والأستنتاج (Deduction) . نطالب بإعادة النظر في كل ما كتب ، وما ادعاه المحدثون . والمقربون من محمد وصحبه وآل بيته . الحقيقة ملك الجميع . الحقيقة ليست ناقة ولا امرأة . ولا هي بئر نفط . سيرة محمد ، الرجل الذي غير وجه التاريخ ، في هذه المنطقة من العالم ، ليست كما صنعوا ودبجوا فحسب بل هي تراث عظيم . شارك في صناعته رجال مخلصون ، سخروا علمهم وكفاءتهم وثقافتهم ومعرفتهم ، وإمكاناتهم كافة في سبيل إظهار دين جديد ، إما ليوحدوا تلك المذاهب والمعتقدات التي تعددت بسبب الخلافات الدائرة بين رؤساء هذه المذاهب وساداتها ، وغما ليخلقوا قوة جديدة قادرة على حسم الصراع العقائدي ، الذي تحول ، باللأسف ، مجازر ومذابح ونكبات وتهجيرا وتدميرا . وإذا الإسلام مجموعة روافد ، شرقية وغربية ، جنوبية وشمالية ، انطلقت من منابعها هدارة ، إثر اضطهادات غاشمة ، وأحكام تعسفية ، وتدابير جائرة ظالمة ، فصبت في مكة "أم القرى" ، البلد المناسب ، والملائم ، أرضا وشعبا ومناخا.
شمس مكة تغلغلت بين الرمال في خيوطها من كل مكان ولون فيها من ابراهيم وجميع الفرق اليهودية . فيها من تقاليد المجوس وعاداتهم وعباداتهم . من الخرمندية مذهب التناسخ والحلول . من المسخية المعتقدة بانمساخ النور إلى ظلمة . من الزردشتية مذهب القوة والتفوق . من الساسانية والثنوية ، المنادية بأزلية النور والظلمة . من المانوية التي تجمع بين النصرانية والمجوسية . من الأشتراكية المزدكية المتطرفة . ومن الكينونية التي ترى أن أصول الخلق وقواعده ترتكز على النار والأرض والماء .

وفي خيوط تلك الشمس (شمس مكة) أيضا من النصرانية (المسيحية اليهودية) القائلة بان يسوع هو مخلص زمني وكا جاء إلا ليكون ملكا على اليهود . ومن النيوستيكية التي هتفت تقول : "المخلص منبثق من الروح وهو غير المسيح الإنسان" من بقايا

[94] كتاني : المصدر نفسه ص ١٢٨.

آريوس ، الأسقف الخطيب الذي نادى بملء صوته : "الأبن هو دون الآب" . ومن النسطوريين والملكانيين والسريان "المستقيمين".
كم حملت خيوط تلك الشمس من غبار المعارك العقائدية التي بدأت بين أنطاكية والأسكندرية ن وظلت تتصاعد حتى دخلت القسطنطينية ، ثم ضمت جميع البلدان والمناطق آنذاك احتدمت المناقشات (الميتافيزيقية) (البيزنطية).
فريق صاح : أشرق النور على جسد المسيح وهو مغاير لأتحاد الكلمة . وفريق آخر رد يقول : لقد استحالت الكلمة إلى لحم ودم فصار الإله هو بالذات المسيح [٩٥].
على "أن الفكر لا ينشأ من فراغ ، أو مستقلا عن الظروف الموضوعية – الإجتماعية والسياسية – التي يكون هذا الفكر نفسه استجابة لها ومحاولة للتصدي لها تغييرا أو تأييدا " [٩٦]

من مكة كان محمد يتطلع إلى بلاد فارس وسوريا والحبشة ومصر فأدهشته المجادلات الحامية التي شغلت الملوك والأساقفة والشعوب . هاله الأمر ، فأنطلق يبحث عن مصادرها وأهدافها ، يدفعه حب الأطلاع والحرمان ، واليتم ، والأغتراب ، فكان ن الطبيعي أن يهتدي إلى من عنده الجواب على تساؤلاته ... إذ ذاك وجد نفسه على الطريق . فعزم على السير تحت وطأة الشوق إلى المجد والعظمة والسيادة ، بعد أن استقر في بيت خديجة ونعم بمالها وتجارتها وجاهها فشعر ببعض التناسق أو التآزر (Co- ordination) . وهو من هو . ابن قريش القابضة على تاريخ الجزيرة وقلبها وحياتها . ولما كانت المسيرة محفوفة بالمصاعب ومحاطة بالأسرار العميقة تغير سلوك الفتى الأسمر ، إذ تفاعلت فيه التناقضات تخالطها الأحلام والأمنيات . فكما المريض الذي يعالج بالصدمات الكهربائية ، كان محمد في علاقاته مع عمه أبو طالب وأشراف مكة وصغارها . وربما مع خديجة أيضا . هذا الفتى التغييري (Revolutionist) حرم – قبل زواجه من خديجة – من النوم الآمن والأستقرار والطمأنينة ... مما أثار مخاوف العم ابو طالب وأربكه ... حيث كان يعلم خطورة هذا الأمر وصعوبته والمتاعب التي ستنجم عنه . فما يصبو إليه الفتى محمد هو في نظر ابو طالب محال ... لا يتعدى الحلم .

---

[95] كتاني المصدر السابق ، ص ١١٤- ١١٥.
[96] د. نصر حامد ابو زيد : الأتجاه العقلي في التفسير ص ١١

هذه المرحلة الدقيقة ، الغاية في الدقة ، المتشابكة خيوطها ، المعقدة خلاياها ووحداتها وجزئياتها ، استأثرت بالقسم الأكبر من حياة محمد ...

على امتداد أربعين عاما من التكتم والحذر والدرس والتصميم والأتصالات السرية ، والتفكير ، والتأمل والتمحيص ، والتأليف والبناء والترجمة والمراجعات ، والتطبيق والتدريب ، والتعليم والنقد والغربلة والتحليل ظل محمد وجماعة من (الراسخين في العلم) ، والذين عندهم علم الكتاب ، وعلم الغيب ، والإبل العديدة ، في دأب عظيم ... فكأنهم في عالم مستقل . ولما تم لهم ما أرادوا ... أعلنوا ساعة الصفر ... فانطلق محمد يبشر الناس ، بما سمع وقرأ ودرس وحفظ ، ولكن باسم اللة ، وبأمر منه ، فهو ليس إلا رسولا من رب العالمين ، بعثه نبيا ومبشرا ونذيرا وهدى ورحمة للذين يؤمنون .

إله محمد :

"سفينة " اللة هي سفينة النجاة . يومذاك لم يكن للة ، في الجزيرة ، صورة واضحة بارزة . مفهوم اللة وصل إلى هناك غير محدد . المنكبون على الدرس قرروا العبور إلى عقول أهل الجزيرة ... على (سفينة اللة) ... إذ لا حيلة لهم إلاها .

اللة ، إذن ، قضية . مشكلة. "تركة" تثير النزاعات . تفرق بين الرجل وزوجته . والأب وابنه والأخ واخيه . عاصفة تأبى أن ترى الناس في مأمن وطيب عيس وسلام .
أزمة ضمير . هلوسة . جنون . شذوذ . ادعاء . غرابة . مجد . سؤدد . كيان . قهر . تجبر ، موت . فناء. حساب . عقاب . ثواب . اللة الذي له الصفات جميعها . غير محدود . يرى ولا يرى . غني عن العالمين . مالك السموات والأرضين . هو النور والنار . الجنة والجحيم . الحق والباطل . الخير والشر . رب الفقير ورب الغني . رب الضعيف ورب القوي . خلق الإنسان والحيوان والحجر والنبات ليسجدوا له .

"يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(٢١)الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ

السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" [٩٧]

المؤسسة الملكية الإلهية :

اللة هذا موضوع يجب حسمه . ولكن كيف ؟ "الأساتذة " فرضوا الإستسلام والإيمان المطمئن والعبادة المطلقة والطاعة ... العمياء . وإن ذلك ليس بعزيز .

"أساتذة مكة هيأوا لدينهم الجيد حميع أسباب النجاح ، أسسوا شركة إلهية . خديجة ، امراة محمد . الثرية ... تدعم المشروع بما لديها من نفوذ وسلطان . تسهل للزوج ... الأمين ... الحبيب ... الشريك ... الوصول إلى أثرياء مكة ، سكان الحي الراقي . تجار مكة وساداتها سيتسامحون بطلب من خديجة ... ويصرفون النظر عما سيحدث ، تاركين المجال لأبن قريش .

لليهود أنبياء . للمسيحيين نبي وقديسون ، مكة إذن ، يجب أن يكون لها نبي . كان هذا شعار "الشركة الإلهية " الذي رفعته عاليا . لم لا ؟! محمد لن يضر بمصالح الأثرياء . إلى متى ستبقى الجزيرة جدباء إذا ؟ مطلوب من الجزيرة أن تنجب نبيا يرفع العرب إلى صف الأمم والشعوب العظيمة . لن يبقى اليهود والنصارى يفخرون علينا . هكذا سيقول أثرياء مكة وتجارها ... قال "الأساتذة " . وجرى ما توقع مهندسو (الدين الحنيف) . مكة تقاوم محمدا ؟ مكة لم تقاوم محمدا ... العلاقات تتحسن يوما فيوما . رقعة الإسلام تتسع . طغاة مكة لن يقتلوا محمدا . مال خديجة ، وسيادة قريش ، وغيرة الجزيرة من اليهود والنصارى ، فشلت المؤامرة على محمد . كل شيء مدروس و "كل في حسبان " .

ثمرة أربعين سنة من التشاور والتعاون والتفاهم والدرس والتخطيط يجب أن تكون هي الغالبة . فالدين ليس وحده الداعي إلى ظهور الحركة الإسلامية . آمن بذلك سكان مكة والمدينة وصدقته القبائل العربية [٩٨]. فشهدت هذه الحركة إقبالا ملحوظا ،

---

[97] البقرة :٢١، ٢٢

[98] يقول الأستاذ محمود شاكر : "هذا المجتمع (يقصد مجتمع مكة والجزيرة) كان بأشد الحاجة إلى نبي يأخذ بيده نحو الخير ويهديه السبيل ، كما كان العالم كله بحاجة إلى رسول يعيده إلى الحق بعدما لعبت أهواء الجاهلية فيه فعاش بحالة من البؤس وكانت الديانات السماوية قد حرفت

مكن لها الأنتصار السريع على أعدائها ، من الفرس واليهود والبيزنطيين ، الذين كانوا في وضع لا يحسدون عليه .

هذه المرحلة الهامة من تاريخ محمد يأبى المؤرخون كشفها واطلاع الناس عليها ؟!

فجأة نزل اللة في الجزيرة واختار محمدا ابن الأربعين سنة من بين الناس . ولقنه ما شاء له أن يلقنه . وهو الأمي حسبما زعموا ويزعمون ؟!

وفجأة احتل الإسلام مكانته عند عرب الجزيرة وإذا محمد (الرسول العظيم) ، و (خاتم الأنبياء) يهدد الملوك والباطرة ، ويطالبهم بالدخول في الإسلام ، وان لم يستجيبوا فهو لهم بالمرصاد ، ودخل المسلمون في الحرب مع اليهود والفرس والرومان ، فانهزمت الجيوش المؤلفة أمام قلة من البدو اتخذوا من الإسلام منعطفا جديدا في حياتهم الأقتصادية ، ومعبرا لى أقاليم ذات طبيعة غنية في خيراتها ، وجمال ومناخات صحية مفيدة .

فالبدوي سئم العزلة والوحدة والعيش الخشن مذ بدأ يتعرف إلى التجارة والتجار ، ويرى الحرير اليمني والنسيج الأنيق وطيبات الشام (من تين وأعناب وفواكه لم ينبت منها في الجزيرة أي نبت) في أسواق مكة ، وحركة البيع والشراء والخيول المطهمة والإبل المحملة والأثرياء القادمين من هنا وهناك وهنالك يجوبون الأسواق ، عليهم المزركشات والطيلسان ، تيها وكبرياء .

وحرك الإسلام ، عند ذلك البدوي الغارق في طبيعته المألوفة معنوياته فثار على الجوع ، الذي طالما أكل من أعصابه وعلى الكبت ، والظلم ، والفوارق الطبقية التي بلغت حدا لا يطاق ، فكان هذا الثائر ، المتمرد ، هو القوي ، فيما انحدر اولئك الذين لم تحمهم لا امتيازاتهم ولا أموالهم من الخطر الذي باغتهم فجعلهم أذلة بعد أن كانوا هم الحاكمين والمتنفذين وذوي العزة والجلالة والجبروت .

وبدلت واصبحت تعاليمها الموضوعه وفق اهواء واضعيها ، وكانت الرسالة الجديدة تقتضي أن تكون عامة للبشر جميعا ناسخة ما قبلها وهذا ما كان برسالة محمد بن عبد اللة عليه الصلاة والسلام " (التاريخ الإسلامي – الجزء الأول – المكتب الإسلامي ، ص ٩٨)

الإيمان المطلق بالزعيم العربي محمد كان هو ذلك السلاح الذي حطم السيوف والنبال والرماح ، ودك عروشا ، وعفر تيجانا، وأقام دولة جديدة ... دعيت (الدولة الإسلامية)

لماذا دعا مهندسو (الدين الحنيف) إلى الإيمان المطلق والتسليم بما (أنزل على محمد) ؟
من المؤكد أن (أساتذة) مكة ، أصحاب (الشركة الإلهية) كانوا اعرف الناس بعقلية البدوي ، وبما يحب ذاك الإنسان الباحث عن الماء والمرعى ، المستعد دائما وأبدا للقتال القبلي ، لمبارزة ابن قبيلته [٩٩]، وبما يؤثر فيه ويحرك عواطفه ، ويفرحه ويطمئن إليه ، وعلى هذا الأساس كان لا بد لهم من إعلان الزعيم العربي محمد رسولا من اللة ، "فمن أحبه أحب اللة " ، و " من أطاعه أطاع اللة " ، و "من نصره نصر اللة " ، فإذا البدوي يجد في ذلك التدبير (اللائق) و(المعقول) ما يلائم أهواءه ، وأهدافه ، وينسجم مع استعداداته الذهنية والنفسية والروحية والإجتماعية والسياسية والأقتصادية . رأيناه يدخل في الإسلام كما لو كان يدخل منزل شيخ قبيلته ، إذ لا تكلف ، ولا شروط ، ولا واجبات ... ما عدا بعض الطقوس ... التي تعلمها ، فيما بعد ، فارتاح لهذا الدين الجديد السهل [١٠٠] ، الذي لا يتمسك إلا بكلمات ، بقدر ما وجد فيه مشجعا له على الغزو والفتح مما حقق مكاسب وأهدافا طالما سعت إليها (المؤسسة المكية الإلهية) .

دين الصحراء :

والبدوي لم يتخذ من الإسلام دينا ، بل هو اتخذه قوة جديدة ، توازي تطلعاته وآماله وأمانيه . وجزيرة العرب قد بقيت بدون نبي

---

[99] وكتب الأستاذ محمود شاكر يقول : "كان اكثر السكان في البوادي يحيون حياة الرعي والبداوة ، ويتنقلون باستمرار بحثا عن الماء والرعي ، ولا يجدون مجالا للأستقرار والراحة ، وحيث وجدوا ما يسعون اليه ضربوا خيامهم وأخذوا يفتشون عن مكان سواه ، وكثيرا ما يحصل التنازع بين القبائل على احدى البقاع التي تتوفر فيها المراعي او عرفت بوجود المياه فيها ، ولكل قبيلة منازلها المعروفة وبقاعها المحدودة لا تتعداها وتقوم الحروب بين هذه القبائل ، وقد تستمر السنوات ويكون السبب تافها لدرجة ، وتقوم حياة هؤلاء السكان على تربية الماشية وما تنتجه من البان ولحوم واصواف ، واقتصرت بيوتهم على الخيام لسهولة نقلها معهم حيثما رحلوا وسهولة اقتلاعها وضربها حيثما حلوا " (التاريخ الإسلامي ، ج١ ص ٩٣)
[100] كل من شهد ان لا اله الا اللة ، وان محمدا رسول اللة عد مسلما مؤمنا .

أكثـر مـن ٣٤٠٠ عـام ، دون رسـول منـذ أيـام شـعيب [١٠١] عليـه السلام عام ٣٤٠٠ قبل الهجرة وحتى بعثة الرسول (ص) عـام ١٣ قبل الهجـرة ولهـذا كانـت بعثـة محمـد بـن عبـد اللـة عليـه أفضـل السلام على فترة من الرسـل ، وكان الناس قد غيروا كثيـرا وبـدلوا ، فأشـركوا باللة وعبدوا الأصنام وارتكبوا المحرمات وفعلوا المنكرات وظلموا أنفسـهم وظلموا الناس ، وما انتشـر في الـبلاد مـن عقائـد نصرانية ويهودية لم تفعل شيئا ، لأن أتباعها قد حرفـوا مـا جـاء بـه من صفاء " [١٠٢].

لكن البدوي لا يطيق (الصفاء الديني) حيث انه لا يتقبل الفلسـفة ولا المنطق ، ولا اللاهوت . فلو أن الإسـلام جاءه عبـر (اللاهـوت أو الصفاء) أو الفلسـفة ، لرفضـه حتمـا ، رفضـا قاطعـا ، وولـى بعيـدا غير آبه بمن يناديه [١٠٣] واسـتمر المسـلم يرفض المنطق والفلسـفة قرونا عدة ، وربما اسـتمر هكـذا أبـدا دون ان يعنـي كلامنـا هـذا ان البدوي هو على خطأ أو ان الفلاسـفة والمنطقيين هم على حق.

لنا في (ابن الصلاح الشـهرزوري) [١٠٤] دليل قاطع على ما نقول .

سئل الإمام الشـهرزوري (ولعله سـأل نفسـه) : هـل الشـارع قـد أباح الأشـتغال بالمنطق تعلما أو تعليما ؟ وهـل يجـوز أن تسـتعمل الأصطلاحات المنطقية في إثبات الأحكام الشـرعية ؟ ومـاذا يجـب على ولـي الأمـر فعلـه بـإزاء شـخص مـن أهـل الفلسـفة معـروف بتعليمها والتصنيف فيها ، وهو مدرس في مدرسـة مـن المـدارس

---

[101] شعيب : من انبياء اللة العرب في ارض مدين . ورد ذكره في عدة سور من القرآن . تحتفل الطائفة الدرزية مرة كل عام بعيد مولده . له جبل في اليمن ٣١٥٠م من جبال السراة ، يعرف محليا باسم (حضور النبي شعيب) عليه قبره ، تقام فيه اعياد يوم عرفات .

[102] محمود شاكر ، المصدر السابق .

[103] وللأفريقي العادي ايضا موقف من الفلسفة والمنطق واللاهوت يشبه الى حد بعيد موقف البدوي منها . يؤكد ذلك قول ماري كنجزلي (عملت بالتبشير في غرب افريقيا) والذي نصه : (ان الإسلام يهيئ للرجل الأفريقي العادي طريقا للأستقامة والفضيلة بأوضح وأسهل مما تقدمه له المسيحية) . (أحمد ابو زيد : الأسلام المناضل ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الحادي عشر ، العدد الأول ص ٢٦٦) . فالأفريقي العادي مثله مثل البدوي فيما يختص بالشؤون الفكرية والقضايا الفلسفية والعقائدية ، وهو يبتعد عنها لأنها ، في نظره ، معقدة لا تستحق الأهتمام . وهذا هو سبب اقباله على الأسلام وتمسكه به ، والمعروف ان المؤمن العادي يحب عقيدته اكثر مما يعرف عنها .

[104] امام من أكبر ائمة الحديث (عند السنة) توفى سنة ٦٤٣ هجرية.

العامة ؟ فأفتى الإمام ابن الصلاح الشهرزوري بتحريم الفلسفة والمنطق . قال:

"الفلسفة أس السفه والأنحلال ، ومادة الحيرة والضلال ، ومثار الزيغ والزندقة . ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المطهرة ، المؤيدة بالحجج الظهرة والبراهين الباهرة ، ومن تلبس بها تعليما وتعلما قارنه الخذلان والحرمان ، واستحوذ عليه الشيطان . وأي فن أخزى من فن يعمي صاحبه ويظلم قلبه عن نبوة نبينا محمد (صلعم) كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكره غافل مع انتشار آياته المستبينة ومعجزاته المستنيرة ، حتى لقد انتدب بعض العماء لأستقصائها فجمع منها ألف معجزة ، وعددناه مقصرا ، إذ هي فوق ذلك بأضعاف لا تحصى ...
وأما المنطق فهو مدخل الفلسفة ومدخل الشر شر ، وليس الأشتغال به مما أباحه الشارع ، ولا استباحه أحد من الصحابة التابعين والأئمة المجتهدين ، والسلف الصالح ... فالواجب على السلطان أن يدفع عن المسلمين شر هؤلاء المباشيم ويخرجهم عن المدارس ، ويبعدهم ويعاقب على الأشتغال بفنهم ، ويعرض من ظهر عنه اعتقاد عقائد الفلسفة على السيف أو الإسلام "[١٠٥]

والبدوي خصم طبيعي للفلسفة والمنطق ، مثلما هو حليف طبيعي للعاطفة والشعر ، والحرب ، والقنص، والفخر، والمديح والصداقة ، والثأر ، وما إلى هنالك عادات وتقاليد تبرز الصفات التي يرتاح إليها ويسعد بها ، وتحتفظ بكل ما هو نقيض للذي يشغل الفكر ، ويجهد العقل ويروضه .

وتلك أمور حاكاها الإسلام بلغة معلومة لدى البدوي ، هي (لغة عرب الشمال التجاري والسياسي والثقافي والأدبي والديني) ، فلا عجب إن هو (البدوي) استقبل الإسلام ، بسهولة وبساطة ، ولا عجب أيضا إن عد الإسلام ، حزب قريش – عرب الشمال ، ودين الصحراء ، دين العرب (القويم) ، والقرآن دعي (كتاب اللة المبين) . فاللغة العربية الشمالية أرقى اللغات المجاورة ثقافة وأدبا ، وأغزر مفردات ، وأدق قواعد ، فضلا عن (نفوذ الناطقين

---

[105] موقف أهل السنة القدماء بازاء علوم الأوائل : بحث كتبه اجنتس جولدتسير ترجمه الدكتور عبد الرحمن بدوي ونشره في كتابه (التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية) (ط٤) ، وكالة [illegible] بيروت

عثمان وصحبه من أثرى أثرياء مكة [١٠٩]

سعيد ابن زيد واختك فاطمة ، فقد واللة أسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما ، قال : فرجع عمر عامدا إلى أخته وختنه ، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها (طه) يقرئها إياها ، فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهنيمة [115] التي سمعت ؟ قالا له : ما سمعت شيئا ، قال : بلى واللة لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه اخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا وآمنا باللة ورسوله ، فاصنع ما بدا لك ، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد . وكان عمر كاتبا ، فلما قال ذلك قالت له أخته : انا نخشاك عليها . قال : لا تخافي ، وحلف لها بإلهته ليردنها إذ قراها إليها ، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له : يا أخي ، انك نجس على شركك ، وإنه لا يمسها إلا الطاهر فقام عمر فأغتسل ، فأعطته الصحيفة وفيها (طه) فقرأ ، فلما قرأ منها صدرا قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ّ فلما سمع ذلك خباب خرج إليه ، فقال له : يا عمر واللة إني لأرجو ان يكون اللة قد خصك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس وهو يقول : "اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم ابن هشام أو بعمر بن الخطاب " فاللة اللة يا عمر ، فقال له عند ذلك عمر : فدلني يا خباب على محمد حتى ىتيه فأسلم . فقال له خباب : هو في بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفخ فتوشحه ثم عمد إلى رسول اللة وأصحابه ، فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول اللة وهو فزع فقال : يا رسول اللة هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف ، فقال حمزة بن عبد المطلب : فاذن له ، فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه ، فقال رسول اللة صلعم "إئذن له " فأذن له الرجل ، ونهض إليه الرسول حتى لقيه بالحجرة فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه ، ثم جبذه جبذة شديدة وقال " ما جاء بك يا ابن الخطاب فواللة ما أرى أن تنتهي حتى ينزل بك قارعة " فقا لعمر : يا رسول اللة جئتك لأومن باللة

---

[115] الهنيمة = الصوت الذي لا يسمع والكلام الذي لا يفهم .

وبرسوله وبما جاء من عند اللة ، قال : فكبر رسول اللة تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول اللة أن عمر قد أسلم ، فتفرق اصحاب رسول اللة من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعرفوا أنهما سيمنعان رسول اللة وينتصفون بهما من عدوهم "[١١٦]

سياسة أم دين ؟

أرأيتم كيف أسلم عمر ؟

عمر كان يريد قتل الصابئ محمد !

محمد خرج من دين قريش (الصابئون) وأنشأ مذهبا جديدا وحزبا جديدا . هكذا قال عمر . هكذا قالت العرب .

القرآن كتاب منزل ... يقول المسلمون .

لماذا القرآن منزل وكيف ؟؟

هل كافأ اللة محمدا لأنه خرج من دين قريش ، فأنزل عليه القرآن هدية من الرحمن الرحيم ، ليثبته نبيا ، ويختم به سلسلة الأنبياء ؟

عمر لم يقتل محمد ؟!

لقد قرأ عمر صدرا من (طه) :
"طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى تَنزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى"

إنه لأمر طريف حقا . عمر الذي كان سيقتل (الصابئ) محمدا ، أسلم بعدما قرأ بعض الآيات من (طه) ؟ الك مشيئة اللة ، يقول

---

116 سرة ابن هشام ، (المختصرة) ص ١٥٩،١٥٨،١٥٧

المؤرخون ... والمحدثون ... والمحافظون على إسلامهم حتى يوم الدين .

من المفروض أن يكون محمد قد على بتهديدات عمر له . ولذلك جمع صحبه وأوحى إلى ختن (صهر) عمر أن يقول أبن عمه : سمعت ، أمس الرسول يقول "اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هاشم أو بعمر بن الخطاب "
أسياسة أم دين ؟
ولكي يؤيد اللة الإسلام بعمر بن الخطاب [١١٧] ينبغي لمحمد وأبي بكر وعثمان وسائر أثرياء المسلمين ، سكان الحي الراقي أن يدفعوا إلى عمر ثمن هذا التأييد . (المال قوى) . عمر يريد مكاسب وامتيازات . محمد لا يرغب الموت . لماذا يستشهد محمد ؟ ماذا فهم عمر ، في ذلك اليوم ، من الإسلام ؟
عمر لم يفهم ، آنذاك ، من القرآن شيئا ، سوى المركز الذي سيتبوأه ، والمكاسب التي سيحققها ، إذا هو دخل الإسلام .

ودخل عمر الإسلام ، فكان له شأن كبير . عمر ثبت أبا بكر خليفة بعد وفاة محمد . وعمر هذا ثبت عمر خليفة بعد أبي بكر [١١٨]

لقد أيد الإسلام بعمر ، وأيد عمر بالإسلام .

ولكن هل كافا محمد وعمر خبابا على ما كان منه ؟
إذا شاء ربك جعل السياسة دينا والدين سياسة .

النبي المنتقم :
(وقفة على ضريح ابن جحش)

---

[117] يقول الأستاذ محمود شلبي : يا ويل من يكتب عن عمر ! .... يا ويله !! ما يكاد يدخل اليه ... حتى يجد نفسه يسبح في بحار من نور (؟) لا يدري اولها من آخرها _حياة عمر ، دار الجيل . ط٢ ص ٥)

[118] ويقول محمود شلبي ايضا ... وهل كان عمر الا بشرا ؟ نعم .. كان بشرا .. ولكن اللة اتاه ما لم يؤت احد من الناس ... وذلك فضل اللة يؤتيه من يشاء (المصدر نفسه ص ٦) الا يثير التساؤل هذا القول؟ "وبسط ابو بكر يده فبايعه عمر وهو يقول : ألم يأمر النبي أن تصلي انت يا ابا بكر بالمسلمين ؟ فأنت خليفة رسول اللة فنحن نبايعك لنبايع خير من أحب رسول اللة منا جميعا " (خرجه محمود شلبي ص ٥٧)

عبيـد اللـة بـن جحـش ٠ابـن عمـة محمـد) صـبأ ، وهـاجر إلـى الحبشـة إما ليبشـر بالدين الجديد ، وإما هربا من مضطهديه .
في الحبشـة عاوده الحنين إلى نصرانيته . ارتد عن دينه الحديث ، الإسـلام .
زوجتـه أم حبيبـة بقيـت علـى اسـلامها . محمـد أرسـل الـى النجاشـي يخطبها له ! كأني بمحمـد (النبـي) يريـد كسـر عنفـوان عبيد اللة ؟

أقبلية أم دين ؟

أين هي الحرية؟

لماذا لا نقول : إن عبيـد اللـة رأى نفسـه علـى خطـأ ، فعـاد إلـى دينه الأول؟
المؤرخون ينزلون بعبيد اللة هذا اللعنات ، طمسوا سيرته .
المؤرخون اكتفوا بما قالوا عنه :
"دخل الإسـلام وهاجر إلـى الحبشـة ومعـه امرأتـه أم حبيبـة بنـت أبي سـفيان مسـلمة . فلما قدمها تنصر حتى هلك هناك نصرانيا "[١١٩]

ماذا فعلت عبيد اللة ؟

ألم تحسـب أن محمدا قد ينتقم منك فيتزوج امرأتـك لكـي يطعنـك في كرامتك وشرفك ؟

ألم تعلم أن ليس للحرية مكان في قاموس لغتنا ؟

عبيد اللة ، لو تقرأ تاريخنـا ، منـذ صـبأ محمـد وإلـى اليـوم لعلمـت كيف "أبيضت" وجوه ، و"أسودت " أخر.

عبيد اللة ، لست وحدك المظلوم .

أنا مثلك اليوم . لكن الفرق بينك وبيني أنك عدت إلـى دينـك الأول بعدما صبأت . أما أنا فقـد ولـدت مـن أبـوين مسـلمين ، فـي بيئـة

---

[119] ابن هشام : ص ٩٦

إسلامية ، ولما كبرت ، وتفتح ذهني ، وقرأت ، واطلعت ، رأيت أن لا حاجة لي بهذا الدين ، الذي أوله سياسة ، واي سياسة ن وحياته سياسة ، وهدفه سياسة . وربما بقيت بلا دين ، حتى يأتي اليوم الموعود [١٢٠]

عبيد الله ،

أعلمت بما جرى لأبن خالك علي بن أبي طالب ؟

قتلوه في المسجد . علبوه إماما . لا يريدونه فيلسوفا ولا حكيما . لماذا يصرون على بقائه في تلك (العلبة) الإمامة ؟

عبيد الله ،

محمد وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وغيرهم انكروا أحد ساداتهم وابن عمهم ورقة بن نوفل ... وكنيسته ... وأحرقوا ككتبه وأناجيله . واشتروا نفسهم مؤرخين ... ومحدثين .. ليكتبوا ما يوافق سياساتهم ، وميولهم ، ومصالحهم ، وأرباحهم ، وتجارتهم ، وإلهم ، (الذي يرزق من عنده من يشاء ويذل من يشاء) الذي أنزل على رسوله الآيات لتكون له حصنا منيعا تأويه من (الخائنين) و(المرتدين) و(الكافرين) و(الصابئين) والمطلعين والباحثين والفلاسفة وأصحاب المنطق .

"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمْ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ

---

[120] قال عمر : لما كان يوم بدر ، التقوا ، فهزم اللة المشركين ، فقتل منهم سبعون رجلا ، واسر سبعون رجلا ، فلما كان يومئذ شاور رسول اللة ابا بكر وعليا وعمر فقال ابو بكر : يا نبي اللة ، هؤلاء بنو العم والعشيرة والأخوان ، فاني ارى ان تأخذ منهم فدية ، فيكون ما أخذنا منهم قوة ، وعسى اللة ان يهديهم فيكونوا لنا عضدا فقال رسول اللة : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قلت : لا واللة . ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكنني من فلان (؟) فاضرب عنقه (ربما قصد ابا سفيان) وتمكن حمزة من أخ له (أي العباس) فيضرب عنقه ، وتمكن عليا من اخيه عقيل فيضرب عنقه ، حتى يعلم ان ليس في قلوبنا هوادة للكفار . هؤلاء صناديدهم وقادتهم وائمتهم ! " (خرجه محمود شلبي ص ٢٥)

تَشْكُرُونَ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" [١٢١]

لا خوف على محمد إذن . ليعلم من يمكر به أن اللة يرعاه ويصونه . (اللة خير الماكرين) . وقد رأينا كيف أن عمر بن الخطاب كاد يمكر بمحمد ، ثم تصدى له اللة ، في منزل ختنه ، فأوقع في قلبه الإيمان ... وشده من اذنه إلى البيت الذي كان فيه محمد وصحبه ، حيث أسلم ... وأعتذر .. حتى صار ركنا عظيما من أركان الإسلام.

ويذكرنا قرآن محمد ووعد اللة له ، بملحمة هوميروس (Homer) (الأوديسيه) (Odyssey) والآلهة أثينا بالاس The Goddess Athena التي تشد من أزر الملك اوديسيوس Odysseus كما تؤكد مساندتها له التي يعود فيها أوديسيوس إلى عرشه في إيتاكه Ithaca منتصرا على أفراد الطبقة الأرستقراطية الذين كانوا يهددون هذا العرش ، إذ أنها مسألة لا تخص أوديسيوس وحده فحسب وإنما تخصها هي كذلك ، وهكذا تقول الآلهة أثينا Athena :
"من المؤكد أني سأقف إلى جانبك وأني لن أنساك حين يأتي الوقت الذي تقضى فيه مهمتنا هذه ، أما عن اولئك (الأرستقراطيين) الذين يطاردون زوجتك ويبعثرون ثروتك فإني أراهم الآن (مقدما) وقد صبغت دماؤهم ورؤوسهم المهشمة أرض قصرك "

كل الحقوق تسلب ما عدا "الحق الإلهي" . وكل الكرامات تهان وتداس ما عدا كرامات الأنبياء (المسلحين) وأصدقاء الآلهة من الملوك والقادة . محمد يقرأ الأوديسية فتأخذ النشوة .

---

[121] الأنفال : ٢٤ ـ٣٠
وبتفسير الجلالين للآية ٣٠ : واذكر يا محمد (إذ يمكر بك الذين كفروا) وقد اجتمعوا للمشاورة في شلانك بدار الندوة (ليثبتوك) يوثقوك ويحبسوك (او يقتلوك) كلهم قتلة رجل واحد (او يخرجوك) من مكة (ويمكرون) بك (ويمكر اللة) بتدبير امرك بأن أوحى اليك ما دبروه وامرك بالخروج (واللة خير الماكرين) اعلمهم به . ص ٢٣٨+

أوديسيوس يقرأ القرآن ويرتله ترتيلا يونانيا . إلـه محمـد ، كمـا إلـه موسـى يغازل الآلهة أثينا بينما أعداء محمد وموسـى وأوديسـيوس في النار خالدون .

هؤلاء طواهم التاريخ

وجـوه نقيـة ، ناصـعة ، بريئـة ، طواهـا التـأريخ بـوحي مـن اللـة ، سبحانه وتعالى ، واستجابة لرغبة الرسول العربي ، وأركان حزبـه ، الـذين حكمـوا فـي الـبلاد وهيمنـوا علـى التـاريخ حسـبما كـانوا يشتهون .

"اجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم ، كـانوا يعظمونه وينحرون له ، وكان ذلك عيدا لهـم فـي كـل سـنة يومـا ، فخلص منهم أربعة نفر نجيا [١٢٢] ثـم قـال بعضـهم لـبعض : تصـادقوا وليكتم بعضكم على بعض ، قالوا : أجل ، وهم : ورقة بن نوفل بن أسـد وعبيد اللة بن جحش بن رئاب ، وكانت أمه أميمـة بنـت عبـد المطلب ، وعثمان بـن الحـويرث ، وزيـد بـن عمـرو بـن نفيـل فقـال بعضـهم لـبعض : تعلمـوا واللـة مـا مـا قـومكم علـى شـيء ، لقـد أخطئوا دين أبيهم ابراهيم ، وما حجـر نطيـف بـه لا يسـمع و يبصـر ولا يضر ولا ينفع !! يا قوم التمسوا لأنفسكم فانكم واللـة مـا أنـتم على شـيء فتفرقوا في البلدان يتلمسـون الحنيفـة ديـن ابـراهيم [١٢٣]"

ولما أتينا على ذكر عبيد اللة بن جحش وما حدث له في الحبشة ، نصرف النظر عنه ، هنا منعا للتكـرار ، يبقـى ورقـة ، وعثمـان بـن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وسنرى ما قالتـه السـيرة عـن هؤلاء :

ورقة بن نوفل :

---

[122] النجي : الجماعة يتحدثون سرا عن غيرهم وهو لفظ يستوي فيه الواحد والأثنان والجماعة .

[123] ابن هشام : ص ٩٦

"فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب " [١٢٤]

عثمان بن الحويرث :

" وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده" [١٢٥] و "كان يقال له البطريق لا عقب له ، مات بالشام مسموما " [١٢٦]

زيد بن عمرو بن نفيل :

" وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان ، ونهى عن قتل الموؤودة ، وقال : أعبد رب ابراهيم ، وبادى قومه بعيب ما هم عليه .
وحدثت أن ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمر ابن الخطاب – وهو ابن عمه – قالا لرسول اللة : أنستغفر لزيد بن عمرو ؟ قال : "نعم ، فإنه يبعث أمة وحده "
وحدثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل أن زيدا كان إذا استقبل الكعبة داخل المسجد قال : لبيك حقا حقا تعبدا ورقا ، عذت بما عاذ به ابراهيم .
ثم خرج يطلب دين ابراهيم ويسأل الرهبان والأحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ، ثم أقبل فجال الشام كلها ، حتى انتهى إلى راهب بميفعة [١٢٧] من أرض البلقاء. كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية ، فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين ابراهيم فقال : انك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظل زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق بها فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه . وقد كان شام اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئا منهما ، فخرج سريعا حين قال

[124] المصدر السابق ، ص ٩٦ ، وأقصى ما قيل عنه "كان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب في الإنجيل بالعبرانية ما شاء اللة أن يكتب" (البخاري بشرح الكرماني ١\٣٨-٣٩) وجاء في صحيح البخاري ايضا " ولم ينشب ورقة ان توفى وفقد الوحي "
[125] ابن هشم ص ٩٧.
[126] في اشارة حاشية من ابن هشام ص ٢٠٦ (السيرة الموسعة)
[127] مرتفع عن الأرض

ذلم الراهب ما قال ، يريد مكة حتى إذا توسط بلاد لخم [١٢٨] عدوا عليه فقتلوه " [١٢٩]

قبلية أم دين ؟

السياسة ، كما دائما غلبت وتغلب الدين والأخلاق ... والحق ... والإنسان ، فكيف إذا كانت قبلية ؟
ورقة بن نوفل ، الذي كان يترجم عن العبرانية ، وعنده تاريخ الأقدمين ، ألقى عليه أبو بكر ، وعمر وعثمان وعلي ستار الجاهلية الكثيف ، وتم مصرع العلم فوق رمال الصحراء ، لتبقى الأوهام والسخافات في بروجها العالية ، ويحتفظ (الكاز) برائحته ، وطاقته وسيادته وعزته ، ليصون الكعبة ، والإسلام ، من (قرامطة) قد يأتون ...مثلما صانوها من القرامطة السابقين . الأستاذ الملفان ورقة بن نوفل طردوه من التاريخ . أخذ مكانه أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف .

لو بقي للعرب ، إلى جانب نهج البلاغة تراث ورقة ... وما حمله سلمان الفارسي ، في رحلته من أصفهان إلى يثرب ، وما تركه بحيرا في صومعته ، لما مزقت الملل والنحل والفرق والمذاهب ، وهي تبحث عن الجذور التي تاهت في الصحراء .

حدث عمر بن الخطاب سامعيه قائلا :
"واللة إني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش قد ذبح له رجل من العرب عجلا ، فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت قد أنفذ منه ، وذلك قبيل الإسلام بشهر أو شيعه (دونه) ، يقول يا ذريح ، أمر نجيح ، رجل يصيح (أو فصيح) يقول : لا إله إلا اللة " [١٣٠]

جوف عجل ذبيح يطلق صوتا لا أنفذ حقيقة لا تحتاج إلى برهان ، عمر قال : عمر حدث (كلام الملوك ملوك الكلام) . ورقة بن نوفل الأستاذ ، الأسقف الملم بغير لغة ، المثقف ، المفكر ، المؤرخ ، أماتوه هو وعلمه ليكرسوا محمدا نبيا ، علمه من عند اللة ، وأدبه

---

[128] بنو لخم ، أو المناذرة : من قبائل العرب
[129] ابن هشام :٩٨.
[130] ابن هشام :٨٥.

أدب اللـة ، وكتابـه كتـاب اللـة ، لـيس فيـه أثـر لبشـري ... هـي الحكاية من أولها إلى آخرها . فصدقوا إذ صدق اللة العظيم القائـل "وإن كنتم في ريب مما نزلنا علـى عبـدنا فـأتوا بسـورة مـن مثلـه وادعوا شهداءكم من دون اللة إن كنتم صادقين"[١٣١]

هل يريد البدوي سوى ذلك ؟

اللة في جوف العجل الذبيح . لـو قالهـا غيـر عمـر لصـلب وقطـع . اسألوا بغداد عـن الحـلاج ، الـذي ضـرب ألـف سـوط وقطعـت يـداه ورجلاه وصلب وهو لا يزال حيا . ولما سقطت رأسـه ، صـب علـى جذعه الزيت وأحرق بالنار ، وألقي برماده من المئذنة في الدجلـة ، وكان ذلك في الثالث والعشـرين مـن ذي القعـدة سـنة ٣٠٩ ه \ السـادس والعشـرين مـن مـارس (آذار) سـنة ٩٢٢ م والنـاس يتفرجون .

ادعى مسيلمة البنوة فكذبوه !

مسيلمة لم يأت بسورة (مـن مثلـه) طبعـا . مسـيلمة لـم يـدرس علـى ورقـة بـن نوفـل ولـم يتحنـث وإنمـا أراد أن يؤكـد علـى أن الإنسان هو الذي يبعث نفسه نبيا . فلو صدقه مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن ، سكان أرقى أحيـاء مكـة ، لعرفـت الجزيـرة نبيين . الجزيرة كانت تبحث عن نبي واحد: جاء محمد فتعلقت بـه ونصـرته ، جـاء مسـيلمة (رحمـان اليمامـة) فخذلتـه قائلـة لـه : الضربة لمن سبق يا مسيلمة وإنك لن تستطيع مضاهاة نبي مكة وقـد أصـابت دعوتـه مـن النجـاح مـا أصـابت . مسـيلمة المبشـر والمتصوف والزاهد لم يعقد محمد معه صلحا لأنه أخطر عليـه مـن أبو سفيان وهوذة .

أسياسـة أم دين ؟

أقبلية أم دين ؟

أيها المؤرخون ...

---

131 البقرة :٢٣

إليكم النبأ العظيم :

ورقة بن نوفل يبعث من جوف الأرض ... لا من جوف العجل الذبيح.

فإلى ورقة ، أيها المؤرخـون والبـاحثون والقابضـون علـى ديـنكم ... على سياستكم .

إلى ورقة بن نوفل ، لنرى كيف انقرضت مكة وزالت .

القسم الثاني

نصرانية مكة لماذا انقرضت ؟

" ...وهكذا أصبحت ديانة التوحيد الإبراهيمية (الحنيفية) هي أولى الديانات الموحدة التي أعادت روح التوحيد القديم بصيغة جديدة . فقد دعت إلى عبادة اللة الواحد الأحد وكانت الجزيرة والعراق والشام ومصر مسرحا كبيرا لدعوته ... وقد تبعته أقوام كثيرة ولكن الشيء الذي لم يساعد على قيامها ديانة ضخمة تمحو كل الديانات المشركة هو عدم توفر الدولة الواحدة الكبيرة التي من الممكن أن تقوم فيها عقيدة دينية موحدة كبيرة .. وحاول النبي ابراهيم أن يقيم نواة هذه الدولة في جنوب العراق المسمى بالقطر البحري ولكن الملحدين أطاحوا به " [١٣٢]

خزعل ماجدي

[132] رسالة العرب الى العالم عبر التاريخ ، مجلة آفاق عربية ت٢ ١٩٧٩ ص ٣٦.

تمهيد :

بـين دهـاليز كتـب السـير والأخبـار ، علـى الطرقـات المتشـعبة الملتوية ، المعوجة بأوحال التزوير والتشـويه ، وأشـواك المغرضـين ... والأنتهازيين ، المجبولة بدماء الذين سقطوا بالمقلاع ، والقـوس والقنبلة ، والراجمة ، والصاروخ . فوق الصفحات العربية والأجنبية ، الشـرقية والغربيـة ، المتراكمـة كالجبـال ، انطلـق ابـو موسـى الحريـري [١٣٣] يحمـل قلمـا واعيـا ، ومعـولا وقنابـل وسـراجا زيتـه الإخـلاص ، والصـدق ، والمعرفـة ، علـى (جرافـة إلكترونيـة) تـدك الأسـوار والقـلاع ، وتفتـك بالحصـون القديمـة ، وتزلـزل الجبـال الشامخة ، كمـا تهـبط إلـى الوهـاد والأعمـاق لترفـع الأنقـاض ومـا تحت الأنقاض من آثار مهترئة مضى عليها ألف وأربعمائة سـنة مـع الأجسـاد البالية ، والنواويس الفانية حيـث كـادت أن تصـبح ترابـا أو شبه تراب .

فبالعدة العصرية الكاملـة ، القـادرة الجبـارة ، تخطـى أبـو موسـى الحريري العثرات والخنادق والعوائق وكل ما حول مـن سـبقه إلـى مثـل هـذا العمـل الجليـل عـن الطريـق المسـتقيم ، وأقعـده عـن البحث الدؤوب ، فإذا هي خلفه تنتحب وتستصـرخ الـذين جعلوهـا شـاهدا على أمجادهم وحضارتهم إذ كانت لها الشـاهد والشـهيد .

وبقلب قوي غيور على الحق تابع كاتبنـا رحلتـه هـذه ، حتـى عـاد إلينا بكتاب مبين سماه "قس ونبي" يظهر "مـا اخفـاه التـاريخ عـن حقيقة الإسـلام وعلاقته بالنصرانية ".

على أن الرحلة التي قام بها أبو موسـى الحريري ليسـت كـرحلات الصيف أو الشتاء التي حققتها قـريش بـين مكـة والشـام ، أو بـين مكة واليمن . ولا هي من الرحلات التي ترتجل ارتجالا ، وقد يكـون المؤلف واجه صعوبات أوشكت أن تثنيه عن هدفه ، لـولا أنـه واثـف بنفسـه ، مطمئن إلى ثقافته الواسعة ، ومعرفته المنمكـة بـالتوراة والأناجيـل والقـرآن ، وخبرتـه الحسـنة بكتـب السـير والأحاديـث ، والمراجـع المختصـة والصـالحة وكـل مـا لـه علاقـة ، مـن أبحـاث ودراسات ، باليهودية والمسـيحية والنصرانية والإسـلام ، فضلا عـن الغاية السامية ، المسـتهدفة خدمة الإنسان والحقيقة الشـريفة ،

---

[133] ابو موسى الحريري : اسم مستعار لكاتب لبناني معاصر ، لم يشأ أن يكشف اسمه ؟!

الرامي إليها ، هذا الكاتب ، دونما تجريح ، أو تشويه ، أو تضليل أو أفتراء .

من أجل حوار إسلامي – مسيحي :

لماذا "قس ونبي" ؟

الجواب على هذا السؤال عند المؤلف كما يلي : "المقصود هو البحث عن هوية القس ورقة بن نوفل وعن صلته بالنبي محمد بن عبد اللة ، والنتيجة هي إظهار ما أخفاه التاريخ عن حقيقة الإسلام وعلاقته بالنصرانية ، ولن تمر بالبال قط أية محاول للتقارب بينهما ، تلك المحاولة المستمرة التي ضلت الحقيقة وعطلت العقول . إنها محاولة فاشلة وضالة ومضلة ، ومع كونها تدعو إلى الوئام والألفة والسلام ، وهي فاشلة لأنها لم يتوفر لها النجاح يوما ، وهي ضالة لأنها تبني على أسس غير صحيحة ، وهي مضلة لأن المقصود منها كل شيء سوى حقيقة الدين "

فالحوار الإسلامي المسيحي على قدمه لم يتقدم ولا خطوة واحدة نحو ما يعزز ويعمق التفاهم والتعاون بين المسيحي والمسلم ويخلصهما من رواسب رسختها فيهما عصور وأزمنة قاتمة رديئة ظالمة لكثرة ما شهدت من حروب طائفية ودينية كانت في كل مرة تقضي على ما بناه المخلصون من الفريقين [١٣٤]

إذا كانت المصالح الأقتصادية قادرة على تذليل أسباب النزاع الطائفي ، الإسلامي – المسيحي ، مثلما نحاول أن نعد أنفسنا أحيانا ، أفلا يحق لنا أن نتساءل عن تلك النكسات المتتالية التي منينا بها جيلا تلو جيل ؟

إن لدى (أبو موسى الحريري) ما يضيء الدرب أمام الجيل الحاضر والجيل الآتي ويرد على هذه التساؤلات عسى أن تجد الأستحسان والقبول :

---

[134] ان المسلمين والمسيحين هم أهل الكتاب ! فلا يصح حوار في ما بينهم الا على اساس كتابيهم الإنجيل والقرآن وكل حوار بينهم يعتمد غير الإنجيل والقرآن انما هو "حوار الطرشان . وهذا ، مع الأسف الشديد ، ما جرى حتى اليوم بين المسلمين والمسيحين – فكان الحوار التاريخي في ما بينهم جدالا وخصاما . (الأستاذ الحداد : مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي ، ص ٥)

"وسبب الفشـل والضلال جهـل مطبـق بالنصـرانية والإسـلام فـلا هذه النصرانية التي ياخذ بها مسيحيو اليوم هي تلك التـي كانـت في أيام القس والنبي ، ولا هذا الإسلام هـو ذاك الـذي دعـا إليـه كل من القس والنبي . وسبب الجهل يعـود إلـى أن فرقا شاسـعا بين نصرانية القس ومسيحية اليوم ، وبين إسـلام النبـي وإسـلام اليوم . هذا الفرق أضل الكثير من مؤرخي الأديان فمؤرخو الإسلام حققوا فيما نقلت كتب السير والأخبار دون أن يحققوا فـي مقصـود أهل السير والأخبار ، وحققوا فيما هـو عليـه القـرآن اليـوم دون أن يحققوا فيما كان عليه بالأمس ، ومؤرخو النصرانية تتبعوا النصرانية في كل مكان ما عدا المكان الذي احتجزت فيه في مكة الحجـاز ، هـذه النصـرانية أهملوهـا وأهملـوا تطوراتهـا وأحزابهـا ظنـا بموتهـا وانقراضها " (ص٥)

الإسـلام يغتال النصرانية واليهودية :

ألا يكون اليأس الذي رافق الحركات الفكريـة فـي الـبلاد هـو الـذي جعل مؤرخي النصرانية يعتقدون بموت نصرانية مكة وانقراضها ؟
لقد فتح المسلمون مكة والمدينة وكانت غـايتهم ألا يبقـى ، فـى الحجاز كلها أثر للنصرانية التي كانت تمثل للشرقيين ديانة الحاكم الأجنبي أو غيرها وليس هذا هو كل ما رموا إليـه فهنالـك المعـالم والآثـار النصـرانية واليهوديـة المنتشـرة فـي المـدن وعلـى التخـوم والتلال التي إن ظلت قائمة ظل الخطر يحدق بالإسـلام ويهـدده ، واستحال قيام الدولة الإسلامية . لقد أزيلـت هـذه المعـالم والآثـار كانها لم تكن .

"عندما وصل رسـول اللـة الـى المدينـة كـان فيهـا مجموعـات مـن السكان متباينة في عقيـدتها مختلفـة فـي أهـدافها متفرقـة فـي اجتماعاتها ، كما كانت لديهم خلافات بعضها قديم موروث وبعضـها حديث موجود "[١٣٥]

"وكان على رسول اللة ان يحل هذه المشكلات جميعها بأن يزيـل آثار الماضي ويوحد قلوب المسلمين ويوجد حـلا للمعضـلة الماليـة ويؤلــف بــين ســكان المدينــة مــن مســلمي الأوس والخــزرج والمهاجرين ، ويجعلهم كتلة واحدة تقف في وجـه اليهـود فيمـا إذا

[135] محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ج٢ ص ٥٩

أرادوا الغدر وهو دينهم في الحياة وأن يعاهـدهم مـا دام لـم يظهـر منهم شـيء"[١٣٦]
واسـتمر محمد وأتباعـه فـي مكـة والمدينـة يلاحقـون كـل مـن لـم يدخل الإسـلام طائعا راضيا إما ليقتلوه وإما ليقصوه عن أرضه وبيته

(الشعار) قد طرح ليسود في كل مكان ، وإلى الأبد بينما التجارب المؤلمة التي مرت بها شعوب هذه الأرض وغير هذه الأرض لا تسمح بل هي ترفض رفضا باتا أن نظل هكذا مأخوذين مسحورين بطلاوة الكلام وحلاوته وبالشعارات التي لا تتعدى الألفاظ الجوفاء والمزايدة وحب الأستغلال والأستثمار .
العقيدة الواحدة اصبحت عقائد أثارت الحروب والفتن ، فلا الأمبراطورية الإسلامية هي امبراطورية مثلما يحسب بعض المؤرخين ، ولا الدول التي انبثقت عنها بعد تفسخها واندحارها عادت عن خطاها لتنظر ، فعلا بوحدة إسلامية تصلح ما أفسدته التجارب والأحداث ، والمصالح الأقتصادية والغايات السياسية العتيدة .

إذا كنا نتكلم عن عصرنا الحاضر ويجب الكلام عنه ولو بأختصار فهل لنا غلا أن نسأل : أين هي وحدة العقيدة اليوم؟ لماذا لم تمنع العقيدة الواحدة الحرب العراقية – الأيرانية؟ لما ذا تركتم افغانستان لقمة سائغة للروس ، لماذا قضية فلسطين لم تجدوا لها حلا حتى اليوم ؟ ماذا فعلتم وتفعلون لمسلمي الأتحاد السوفياتي والصين ؟ لماذا المعارك التي تنطفئ حينا وتشتعل احيانا بين دول المغرب العربي المسلمة ومسلمي افريقيا ؟ ما الذي أجل اطلاق النار بين سوريا والأردن في المرة الأخيرة ، أهي العقيدة الواحدة ؟ ام التعهدات السعودية التي قدمت لسوريا والنصائح الدولية ، منها على الأخص الأمريكية والسوفيتيه ؟ وكما اليوم كما في الماضي . إفلاس استحكم بالعقل عندنا فاسترخينا حتى تكرشت بطوننا وتعطلت اذهاننا وشلت احاسيسنا وترى العالم في تطور مستمر وحركة دائمة يتنقل من حضارة إلى أخرى ، وإذا أصابنا منها طرف وضعنا أصابعنا في آذاننا ورحنا نصرخ ونولول : يا لغيرة الدين ، الغرب يزحف علينا ليسفه عقيدتنا ، ليخذل نبينا وحضارتنا وحقنا وسيادتنا وشوفنا وكرامتنا.

هلا عرفتم لماذا ؟

(لنقرأ) :

"إن الإسلام يتسامح في أن يتلقى المسلم من غير المسلم أو عن غير التقي من المسلمين ، في علم الكيمياء البحتة ، أو الطبيعة ، أو الفلك ، أو الطب ، أو الصناعة ، أو الزراعة أو الأعمال

شهادة أخرى من رجل سقط أيضا في (مستنقع العقيدة) ونسي أن هنالك شمسا وقمرا ونجوما وكواكب ... وشعوبا تتزاحم على نور الشمس والهواء والطبيعة وما تحتوي هذه الطبيعية . هو الدكتور مصطفى محمود القائل :

" ... والإسلام يقدم للعصر المادي باب النجاة الوحيد والحل الوحيد والمخرج الوحيد ... فهو يقدم إليه كل تراثه الروحي دون أن يكلفه أن ينزل عن شيء من مكتسباته العلمية أو تفوقه المادي ، وكل ما يريده الإسلام هو أن يحقق الأقتران الناجح بين المادة والروح لتقوم مدنية جديدة هي مدنية القوة والرحمة ، حيث لا المادية مسخا معبودا وإنما تكون أداة ووسيلة في يد

نعتذر عن هذا الأسترسال الذي اقتضاه الحديث عن الحوار الإسلامي – المسيحي .

نعود إلى "قس ونبي" لننظر كيف تمت الرحلة المباركة ذات الأمل والرجاء .
يقول "أبو موسى الحريري" :
"ولئلا يكون كلامنا عاما على النصرانية والإسلام فإننا سنحدده في فترة من الزمن معينة ، وهي الفترة التي انقرضت فيها النصرانية في مكة ونشأ الإسلام على انقراضها "

فالبحث إذن لن يشمل كل شيء ، سيقف "عند القس والنبي ومقصدهما العظيم" وربما نكرنا مقصدهما العظيم هذا "ولكننا لا نستطيع التنكر للحقيقة التاريخية " التي مهما طال عليها الزمن لابد أن تنهض .

"وإن ما نسعى إليه من تقارب ونفشل ، قد سعى إليه كل من القس والنبي ونجح . وتم النجاح في الإسلام بعدما ذابت النصرانية فيه "

والمؤلف يعرف جيدا الوضع العقائدي الراهن والسائد في بلاد المسلمين ، فلا عجب إن هو كرر القول "ولا تظنن للمرة الثانية أن نصرانية الأمس هي مسيحية اليوم . فتلك اسلمت وهذه لم يعرفها الإسلام قط . ونصرانية مكة ليست هي مسيحية انطاكيا وروما والإسكندرية . ومقصد القس والنبي كان تلك لا هذه وتلك كهذه كانت مبعثرة في شيع وأحزاب . وأراد القس والنبي جمع شتاتها في دين واحد جديد "

بين أنطاكيا والإسكندرية حرب ملأت المجلدات والخزائن . كذلك
[illegible] هذه

"هو القس ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، ابن عم خديجة بنت خويلد [١٤٣] بن أسد عبد العزى ابن قصي، زوجة النبي محمد بن عبد اللة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي . فيكون قصي الجد الثالث لورقة وخديجة ، والجد الرابع لمحمد . والثلاثة يلتقون في قصي نسبا وجاها وإيمانا ودينا ومقاما . والثلاثة من قريش سدنة الكعبة ، ومن سكان مكة ، وأصحاب دار الندوة " [١٤٤]

فالقس ورقة ، قرشي إذن ... وسيد من سادات مكة . وليس يهوديا من اليمن ، أو المدينة ، ولا مسيحيا من سوريا ولا حبشيا ، ولا قبطيا من مصر ، ولا يونانيا ولا فارسيا .

عروبته صافية ، أنيقة ، عريقة ، لا يشوبها شائب .

حبه لمكة والمكيين واضح ، جلي لا لبس فيه ولا غموض .

فما بالنا نقف منه موقف العداء والأزورار ؟

لماذا نهمله ؟

ألأنه عالم ، ومتعلم ، وحكيم ؟

أم لأنه زهد بهذه الدنيا وتوارى خلف تلميذه محمد ؟
لقد برز إليه أثرياء مكة فدحروه ... لأنه لم يتزوج من نسائهم .
ولأنه انصرف إلى علومه و"مدرسته" ودينه .
هذا ((القس)) شغله ما آلت إليه المسيحية والنصرانية ، عن الدنيا ومتاعها الغرور . وإذا مكة قد سحبت من تحته ((السجادة)) .

"ولئن كان كلنا يعرف النبي ورسالته ومسيرته ، فإن أكثرنا يجهل القس وهويته ودوره في بنيان الدين الجديد وسبب جهلنا لابد مصيبة عمياء أرادها التاريخ كما أراد سواها في هذه البقعة من

---

[143] تزوجها محمد وكان له من العمر خمس وعشرون سنة ، وكانت هي في العقد الخامس .. حسبما مر معنا في القسم الأول . أليس القس ورقة هو الذي ((هندس)) ذلك الزواج وأوجبه ؟ أن هذا ما سنراه.

[144] ص ١٣ . أكدت هذا وتؤكد كتب السير والتاريخ الإسلامي كافة .

الأرض . والمصيبة الكبرى تقع لا محالة على من يريد نبش مطامير هذا التاريخ المنكود ، لأن المتعصبين للحقائق المنزلة يصعب عليهم البحث في حقيقة التاريخ ، ولن يدركوا أن باستطاعة اللة استعمال البشر واسطة لأعلان كلمته . ومع هذا ، فإننا غير مجبرين على تصديق الحقائق حتى ولو كانت منزلة من لدن اللة ، لأن لنا حرية البحث عن كل شيء مكنون ، فهي أيضا منزلة من لدن اللة " [١٤٥]

كبوة "أبو موسى الحريري" :

لماذا أوقع المؤلف نفسه هكذا في بحر اللة ؟

المؤلف مؤمن . ولئن كان إيمانه غير إيمان "المتعصبين للحقائق المنزلة".
ليست "المصيبة الكبرى " بوجود من يصعب "عليهم البحث في حقيقة التاريخ " فحسب ، بل هي في أولئك الذين جاؤوا باللة وآمنوا به ثم جلسوا على قميصه يقترعون .
جرأة المؤلف طوت عنقها في هذا المكان ، إذ قال:
" كلنا يؤمن بقدرة اللة القدير ، ولا أحد ينكر تصرف اللة بملكه كما يشاء . ولكن أيضا لا أحد ينكر حرية الإنسان في البحث عما يشاء . ولا أحد يسلم بأن اللة حفظا لكرامته يسلب الإنسان كرامته فاللة يترك التاريخ يسير ، ويترك الإنسان يتدبر في التاريخ أمره . لهذا إذا كانت الحقيقة وحيا من اللة فليس كالإنسان واسطة يعلنها في التاريخ باسم اللة . وبالتالي لابد أن يكون الوحي اللاحق تذكرة للوحي السابق "

هي كبوة من المؤلف إذن . الرحلة بعيدة . الرحلة متعبة . الرحلة محاطة بالأخطار والشبهات . فلا تظنن أننا لا نريد للمؤلف ان يتخذ لنفسه قسطا من الراحة لابد منه .

ورد المؤلف مكملا ، ولكن كمن يقاوم الإرهاق والوهن فقال :

" ... كما شهد الكتاب على نفسه : "هذا ذكر" (ص أية ٤٩) ، و"هذه تذكرة" (المدثر ٥٥) ، وكما شهد على نبيه : ذكر إنما أنت

---

[145] ص ٧

مذكر (الغاشية ٢٢) ويوم يرتاب النبي من صحة مـا يـذكر بـه يقـال له : "إن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب مـن قبلـك " (يـونس ٩٤) . هـذه القـراءة ال "مـن قبـل" تنبـئ ، لا محالة ، عن واحد كان "قبل" النبي يقرأ عليه الكتاب ويهمس أذنه وحي اللة من وراء الستار"[١٤٦]
وبسبب اللة أخفق المطران (القس) حيث أصاب محمد ...
الأسقف ورقة المنعزل في مكة بل المنسـي فكـر فـي إصـلاح مـا أفسده الباحثون عن الحقيقة في سـوريا وأنطاكيـة ومصـر ورومـا . محمد فكر في تحصيل زعامة لنفسه علـى قبيلتـه ، ومنهـا علـى العرب فكان له ما أراد [١٤٧] ونجح حيـث فشـل أسـتاذه الأسـقف ... العالم باللغتين : العربية والعبرية !! وأساء القـس ، عنـدما خاطـب

وتنظيم الأحكام ضد المنشقين – العيش الهادئ والإمكانيات الطائلة وحب السياسة والتطلع إلى الرئاسة والزعامة .

وإذ نحن بصدد تعداد هفوات القس وأخطائه البريئة كما يبدو التي سببت لنصرانية مكة هذا الأنقراض ن وغير ذلك مما فات المؤلف ، لا نتحرج إذا قلنا أن الأسقف ورقة لم يدرس لا الأزمات العاطفية ولا العقد النفسية ولا الكبت ولا كل ما كان يشكو منه محمد ، ذلك اليتيم ، المحروم عاطفة الأبوين وعضد الأخ ، وحنان الأخت ، والذي رضع من غير امرأة ، المسكون قلبا وعقلا بحب الشهرة والتفوق ، الناقم على مجتمعه ، الحزينة نفسه حتى الموت ، الحاقد على أصحاب المكاسب والإمتيازات ، ولا هو أعار تلك الحياة الغنية بالتناقضات والصراعات الداخلية أدنى اهتمام . ولعله رأى في زواج محمد من خديجة خدمة للنصرانية وتنفيذا لما كان يخطط ، إلا أن النتيجة جاءت عكس ما كان يرجو ويتوقع ، فسقطت نظريته ، حيث انطلق محمد يعمل سيفه في رقاب "الكافرين" .

الغير الإسلامية والذات النصرانية:

نصرانية مكة المغمورة كانت تحتاج إلى ثورة ، ثورة في النفس . إلى رهبانية . على انقلاب على الذات (Self – renunciation) إلى تسام (Sublimation) ، مع الكبت (Repression)[١٤٩] إلى تبشير (Evangelism)، وحيث أن مناخ الجزيرة لا يساعد على الكبت ولا هو يدعو إلى التسامي ، ولا يتسامح مع قهر الغريزة وقمعها ، لقي حب محمد للزواج وشغفه بالنساء ، عند أهل الجزيرة ما لم ينم عن الرفض أو الأشمئزاز ، وكما تزوج محمد من نساء شتى ، فعل مثله رفقاؤه الذين انطلقوا بالإسلام ثورة استهدفت الغير ولم تستهدف الذات[١٥٠]. حتى أن عليا بن أبي طالب صاحب البصمات الكثيرة على القرآن والبلاغة ، والفصاحة ، واليوتوبيا ، تزوج هو ايضا من نساء شتى وأنجب خمسة وعشرين

---

[149] يرى فرويد ان المجتمع يحتاج الى الكبت لكي يبني حضارته وهذا رأي لا نملك الا أن نوافق عليه ، فما من أحد يستطيع أن يجادل في الفكرة القائلة ان عملية تكوين أي مجتمع حضاري تعني ضمنا تنازل الأفراد عن قدر من حاجتهم ورغباتهم المباشرة وتفرض تضحية الشهوات في سبيل مبدأ أعم منهم . (أنظر الإنسان المعاصر عند ماركيوز ، المصدر نفسه ، ص ١٨٣.

[150] هل ان التحرر الجنسي عند الرجل وسيلة لتدعيم سلطة النظام القائم ؟

ولدا أو أكثر ما بين ذكر وأنثى[١٥١] ، فانقسم بيته على ذاته و "كل بيت ينقسم على ذاته يسقط " كما قال المسيح .

وكان مقدرا على بيت محمد أن ينقسم على نفسه أيضا . مثلما بيت علي. لو أن النبي ولد النجباء .

لست أدري ما الذي كان ينتظر الإسلام والقرآن لو خلف محمد وراءه عشرات الذكور والإناث أمهاتهم خديجة وسودة وعائشة وحفصة والزينبان (بنت خزيمة وبنت جحش) ومارية وجويرية وصفية وام حبيبة وأم سلمة !

بيت الوحي والنبوة هل يخرب ، كما خرب بيت الإمامة ؟

اللة يقول لا.

النبي لم يسمح اللة له بالأستنجاب إلا من خديجة ومارية ولكن اللة تدارك برحمته الواسعة الني ونساء النبي والقرآن ، والإسلام ، فخطف أولاد النبي جميعهم ما عدا فاطمة التي اشاءها هدية لعلي بن أبي طالب مكافأة له على إخلاصه لمحمد وتفانيه من أجله وفي سبيل نشر دين اللة القويم وانتصاره على الكافرين ، كما تزعم المصادر الشيعية.
وبما أن اللة لا يضيع أجر المحسنين كرس نساء النبي ، المحرم عليهن الحمل والحبل "أمهات للمؤمنين" وعصمهن ، وغلب فيهن الذات على الغير ، وعلمهن كيف يضطهدن أجسادهن ، وكيف يكون التفوق والتسامي وكبح الشهوة الجنسية (Eroticism).
فالنبي كما قالت عائشة وأم سلمة "كان يصبح جنبا من جماع غير احتلام ، ثم يصوم في رمضان " [١٥٢]، وكان يقبل بعض زوجاته وهو صائم ويباشر وهو صائم ، دون أن يفسد صومه لأنه (النبي) كان أملك لأربه (عضوه).

---

[151] ما شاء اللة ! لقد سمعت لما كنت طفلا ، من كان يثني على علي بن أبي طالب فيقول : كان فحل الرجال وزير النساء . كان لا يطيق ان ينام ليلة واحدة بدون مضاجعة النساء . ولو من وراء الحائط . كانوا يقولون عنه هكذا لأعتبار هذه القوة من عند اللة ، كريمة مثل منزلة علي ، الرجل يرتوي جنسيا ، المرأة تكبت.

[152] حديث متفق عليه ، انظر "مع الرسول في رمضان" تأليف محمد سالم ، دار الثقافة ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ص ٢٩.

(النبي) كان يقذف (يتنجس) وهو نائم . (النبي) كان يتحكم في عضوه ، ما ذا يعني هذا القول ؟

الأول معناه أن (النبي) كان ، في نومه ، يرى نفسه شابا مراهقا وفي حضنه صبية من عهد الشباب ، فيباغته قذف مبكر (Praecox ejaculation)، لا يفسد الصوم وهذه حالة ترافق الزواج القسري أو الزواج الصفقة كزواج محمد من خديجة وهي الهرب من الواقع إلى الخيال أو الأحلام .

الثاني معناه أن (النبي) كان يباشر نساءه في اليقظة ، ولكن بدون قذف مما يجعل صومه قائما أيضا .

فكما يظهر من حديث عائشة وأم سلمة ، كان (النبي) يعاني توقف المني (Spermatemphraxis) أو انحلال وإتلاف الحييات المنوية (Spermatolysis). فهل أن (خديجة) و(ماريا) قد حبلهما (النبي) فعلا، أم أن (جبريل) وهو الذي نفذ المهمة الإلهية بدقة وإتقان؟

الذات المحمدية محت ، بأمر من اللة ، الغير المحمدية . الجنس مع الذات غيره مع الغير . الوحي كان ينزل على محمد ليشغله عن القذف (ejaculation) أو (Spermatism) فكأن لا جنس مع الوحي ، ولا متعة (Pleasure) مع النبوة .

كيف ذلك ؟
لنتلمس الجواب على هذه المسألة .
يقول جان روستان (Jean Rostand) في كتابه ((الإنسان)) (الترجمة العربية بقلم د. محمد عبد الرحمن مرحبا) (ص٥٥) ما يلي :
"إن الأسباب التي تؤثر من النتيجة النهائية (للحمل) دقيقة جدا حتى ليكاد يكون من غير الممكن تصورها فترسترام شاندي بطل كتاب استرن المشهور يشكو أن أمه عندما كانت على وشك أن تحمل به عكرت صفو الأرواح الحيوانية بسؤالها أباه فجأة : "هل عساك نسيت تدوير الساعة ؟ ." والحقيقة أنه يكفي أقل من ذلك كثيرا للتأثير في تكوين الطفل . (فحسب أحد الزوجين أن تبدو منه في أبان العملية الجنسية) حركة ما أو التفاتة ما أو زفرة ما حتى يخترق البويضة حييوين منوي (Spermatozoon)

(Spermaatozoide) آخر عير ذلك الذي كان يهم باختراقها) . فإذا إنسان آخر سيرى النور بعد تسعة أشهر (غير ذلك الذي تخلف عن الركب فخسر إلى الأبد معركة الحياة ، فالحياة إنما هي انتهاز للفرص ، وويل لمن لا يتحين الفرص !) "

على أن المسألة المحمدية هي ، لا شك ، أخطر من مسألة شاندي . فشاندي ، الأب ، كان يمارس الجنس حتى المتعة والقذف بينما محمد كان أملك لأربه فلا يقذف ، مهما بذل جهدا ، ولا يحقق المتعة أو النشوة ، حسبما أفادت عائشة وأم سلمة.

أما أن تكون والدة شاندي قد "عكرت صفو الأرواح الحيوانية" الهاجمة من صلب زوجها باتجاه رحمها ، فأمر يختلف كثيرا عما كان يحصل لعائشة وأم سلمة وسائر نساء النبي ، فهن لم يعرفن المتعة مع محمد ، حيث أن "الأرواح الحيوانية" في صلب النبي قد أتاها من اللة مبيد للمني (Spermatocidal) فأتلفها وخربها .

ما أوقح (جبريل) ! كان لا يحلو له أن يحمل الوحي إلى محمد ، إلا كلما فكر محمد في مباشرة النساء . اللة و(جبريل) يأمران محمدا أن يملك أربه ... كي يظل في القلق الجنسي ، المناخ الملائم للوحي والتنزيل والإبداع ، والعبقرية ، والذات المحمدية.

محمد والقلق الجنسي :
(الحجاب ورجم الزانية)

إن المجتمع الذي أسسه محمد أو حاول تأسيسه هو غذن مجتمع (الأرتواء الجنسي) ، من طرف الرجل فقط ، والأنفتاح ... حتى بالطريق المجوجة (وانكحوا ما طاب لكم من النساء) . إلا أن سرعان ما خاب ظنه وتراجع . ولما أحس النبي بانحلال الحييات المنوية (Spermatemphraxis) ، وهو الذي بيته مشرع مثلما بيوت الزعماء والمؤسسين ، في كل زمان ومكان خاف على نسائه ، ومنهن عائشة الصبية الحسناء ، مارية القبطية الشاربة من ماء النيل ، وجويرية وصفية اليهوديتان ، والشابة بنت عمر ، وبنت أبي سفيان ، والحسناء زينب مطلقة ابنه زيد ، من الإستسلام للغريزة والوقوع في أحضان الرجال ممن كانوا يدخلون بيته (قصة عائشة وعلاقتها بصفوان وحديث الأفك) فعاد إلى

سياسة الكبت ، ولكن على حساب المراة فقط ، فأمر بالحجاب ، ورجم الزانية وحبسها في المنزل حتى الموت .

الرجوع إلى سياسة (الكبت من طرف واحد) بدأه النبي عندما أخذ المستوى الخلقي في المجتمع الإسلامي يتدنى ويتدهور إذ ذاك استنزل الوحي وخاطب المؤمنين قائلا:
"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(٢٧)فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ(٢٨)لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ(٢٩) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(٣٠)وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنْ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٣١)" (النور)

أي قلق يضج في هذه الآيات ؟!
أية غيرة تعذب محمدا صاحب هذا العدد من النساء ؟ التحلل الجنسي ، في حي التجار النابهين – أساتذة مكة ، بلغ آنذاك حدا لا يطاق ، الجنس المباح أم الحقد وصراخ الأجساد الملتهبة والمعذبة ؟ رائحة الحي الراقي تنتشر في أرجاء البلاد ، وكما في مكة كذلك في المدينة ، نساء النبي يتحرشن برجال النبي القادة والفرسان [١٥٣]، النبي يعذبه الشعور بالعجز ، و(جبريل) الوقح . المجتمع الإسلامي يصارع غرائزه . هذا حرام وذاك حلال . هذا مقبول وذاك ممنوع . النزاع يهدد أهل الحي وأحلامهم ويقلق النبي ، والمجتمعين المكي والمديني.

---

[153] عن انس قال عمر : قلت يارسول اللة انه مدحهن (يقصد نساء النبي) البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فانزل لالة آية الحجاب .. إلى آخر الحديث.

فمن ذا الذي ينقذ هؤلاء من الغرق في هذا البحر الملوث غير اللة والوحي؟
اللة الذي بعث محمد نبيا ... مطلوب منه أن يتدخل على الفور . اللة يعلم كل شاردة وواردة ، اللة (لا يخفاه شيء) ، عنده علم الأولين وعلم الآخرين ، اللة وحده الذي يحسم الأمور . اللة خبير بما تصنعون .

وقضي ربك ...
نساء النبي لا داع البحث في قضيتهن . "النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا(٦) (الأحزاب)

نساء النبي أمهات المؤمنين (؟) حلت المشكلة . امرأة النبي ليست كالنساء العاديات. هي ذات امتيازات من عند اللة وبما أنها كذلك فعذابها ، عند اللة ، يكون ضعفين ... إن لم يكن أكثر .

"يَانِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا"(٣٠) (الأحزاب)

وامرأة النبي التي تكبت ... وتستقر وتقهر الغريزة ، إلا لمحمد ، (سيد الخلق) لها عند اللة أجر ضعفا ما للمرأة المؤمنة العادية . امتياز في العذاب .. وامتياز في النعيم . المهم أن يكون النبي آمنا مطمئنا [154] ومحاطا بسرية إلهية تامة وكاملة ، أسرار بيت النبي أسرار اللة التي لا يعلمها إلا (الراسخون في العلم) .
"وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا"(٣١) (الأحزاب)
اللة والرسول اثنان لا يفترقان . من اعتدى على الرسول اعتدى على اللة . نساؤه هبة من عند اللة . تراث . شرف . كيان . سيادة.

[154] ولكننا نسأل هنا ، لماذا لم يعمر النبي ؟ لقد اعطي النبي مجدا عظيما .. ونساء عدة .. وسلطة لا تعدلها سلطة .. ورغم ذلك لم يعش أكثر من اثنين وستين عاما ! اليس "الأرتواء الجنسي" – بمعنى الأبتذال (Mustiness) – الذي حققه النبي لنفسه ، وما رافقه من الهموم العائلية (تنازع نسائه على الفراش الرسولي) والسياسة (التوفيق بين أقطاب حزبه) والقتصادية (تامين الموارد التي تكفل استمرارية الدولة الإسلامية ونجاحها) والأزمات النفسية التي مر بها ، هي التي حتمت موته المبكر ؟ وقد مات محمد عن مرض لم يعرف ؟!

من "الأرتواء الجنسي للذكر" إلى "الكبت من طرف واحد" إلى "الدكتاتورية المطلقة" . جنون العظمة (Paranoia) [155] أم الأنفصام (Schizophernia)!؟

سلطة الأسطورة والطبقة :

النبي عنده "أخبار عما يكون وأخبار عن ضمائر الناس وما يأكلون وما يدخرون ودعاؤه مستجاب لا تأخير فيه ولا خلف "[156]
يمكن لمحمد الأتصال باللة ، من دون الرجوع إلى مكاتب السكرتارية ، ساعة يشاء في الليل . في النهار . قبل الفجر وبعده . وفي كل حين . طلبه عند اللة مقبول . لا يحال إلى الدرس . من محمد إلى اللة إلى "لجنة التنفيذ الفوري" . هذا الرسول المدلل "دعا اللة أن يجدب بلاد العرب عندما اشتد أذاهم له فامسك اللة عنهم المطر حتى مات الشجر والمواشي ثم عاد النبي فسأل ربه الخصب والغيث فلبى سؤاله وكتب النبي إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام فمزق كسرى كتابه فدعا النبي سائلا اللة أن يمزق ملكه كل ممزق "فمزق اللة عز وجل ملكه وجز أصله وقطع دابره "

ماذا يقول القس ورقة بن نوفل؟
ماذا يقول نصارى مكة ؟
اولئك لم يجرؤوا على قول شيء .

عبيد اللة بن جحش عاد إلى نصرانيته . محمد (النبي) ود لو قطع له عنقه . محمد دعا اللة أن يأتيه بزوجة عبيد اللة ابن جحش فأتاه بها على جناحي (عفريت) من عنده . قال له اللة : يا محمد أنكحتك "ام حبيبة" لأنك لم تستطع ضرب عنق زوجها المرتد ... الكافر.

---

[155] Paranoia , a disorder that doctors often consider a type of Schizophrenia , may also be present separately . Such persons show (megalomania) or an exaggerated degree of self love . They believe that other people act hostile and persecute them . However unlike the paranoid Schizophernics persons suffering from paranoia seen to be able to behave properly > (W.B.E. Volume 13 P.331)

[156] الجاحظ حجج النبوة (آثار الجاحظ) ص ٢٦٢ .

النبي ، هذا الدكتاتور المطلق ، حكمه مبرم . أمره نافذ ز كلامه بمنزلة كلام اللة . له سلطة الأسطورة ، وسلطة الطبقة .

العلم يزيل سلطة الأسطورة . العلم ... ممنوع على المسلم . الثورة الإجتماعية تزيل سلطة الطبقة . الثورة الإجتماعية محرمة على المسلم .

" ... وقبل الهجرة أكرمه اللة بالإسراء والمعراج ، إذ نام يوما بمكة بعد أن صلى العشاء والآخرة وقبيل الفجر أسرى به على البراق إلى بيت المقدس فوجد هناك ابراهيم وموسى وعيسى وعددا من الأنبياء معهم ، فصلى بهم ، ثم عرج به إلى السماء حيث رأى من آيات ربه الكبرى ما رأى ، وفرضت عليه الصلاة فكانت خمسين صلاة في اليوم ثم سأل ربه التخفيف فوضعها عنهم إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة فمن أداهن إيمانا بهن ، كان له أجر خمسين صلاة مكتوبة " [١٥٧]
سلطة الأسطورة تأمرك أن تصدق . الدكتاتور محمد قال . الدكتاتور واللة اثنان لا يفترقان . القول ، إذن منسوب ، بعلم الكلام إلى اللة . من لم يصدق فهو غير مسلم بل كافر يستحق القتل [١٥٨].

"وحدث رسول اللة صلعم أبا جهل أيضا بما جرى فقال ابو جهل : يا بني كعب بن لؤى هلموا فاقبل عليه كفار قريش ، فأخبرهم الرسول الخبر فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وإنكارا ، وارتد ناس ممن كان آمن به من ضعاف القلوب . وسعى رجال إلى أبي بكر رضي اللة عنه فقال : إن كان قال ذلك فقد صدق ، قالوا : أتصدقه على ذلك ؟ فقال : إني أصدقه على أبعد من ذلك فسمي من ذلك اليوم صديقا " [١٥٩]

سلطة الطبقة تأمرك أن تصدق .

---

[157] محمود شاكر ، المصدر السابق ، ص ١٢٩.
[158] لماذا صلب المسيح ؟ لماذا صلب الحلاج ؟ المسيح لم يعط سلطة الطبقة . اليهود قدموه الى الصلب بتعنت . لم يوجد أحد يدفع عن المسيح جلاديه . الحلاج أيضا لم ينفعه اصدقاؤه يومذاك ، لأنهم فقراء لأنهم بدون نفوذ بينما محمد لم يستطع أحد ضربه بكف ؟
[159] المصدر السابق.

صدقه أبو بكر فنال السلطة .

صدقه عمر بن الخطاب فنال السلطة .

صدقه عثمان بن عفان فنال السلطة ... وتولى "حفظ" القرآن ليجمعه ويحرفه على هواه .

صدقه علي بن أبي طالب فخسر قسما كبيرا من فلسفته ووهجه ، ومات مغدورا وهو يصلي.

أما الذين كذبوه فأولئك لهم العذاب من ربهم ، وفي جهنم يحشرون .

إذا كنت تريد أن تعيش كريما ، محمود السيرة ، رجل خير، رجل اللة ، ومسموع الكلمة عليك أن تصدق ، محمد ادعى الإسراء . لا . محمد أسرى به .

سلطة الأسطورة . سلطة الطبقة . حوافر البراق. عقد كريم وشهادة خلاص . في عنقك أنت المسلم المؤمن الطائع .

سم امرأتك "البراق" يرزقك اللة أولادا صالحين .
سم سيارتك "البراق" تسلم من الصيانة والميكانيك .
سم حبيبتك "البراق" تسعد
سم قلمك "البراق" تصبح عبقريا لا يبارى
يا سلطة الأسطورة ،
يا سلطة الطبقة ،
حوافر البراق علقوها في عنقي ، حوافر البراق حطمها عنقي .

رحلة إلى مكة القس:

هل ينفع الرجوع إلى "قس ونبي" ؟
لنأخذ البراق ... ونسافر إلى حيث "أبو موسى الحريري" يبحث وينبش عن الأسرار.
يا سلطة الأسطورة ،
يا سلطة الطبقة ،
"أبو موسى الحريري" يقول :

" لقد عظم على المتدينين أن يروا وراء النبي غير اللة ، أما لاحق فيقضي علي بان أعطي للتاريخ دوره ، وبأن أرى اللة يستعمل البشر واسطة بعضهم لبعض للوصول إليه . ولن أكون بذلك أقل إيمانا منهم . وغالبا ما يخفي التاريخ من على صفحاته دور البطل الأساسي ، ذلك لكي يبقى فاعلية السحر ورهبة السر. وبطل الإسلام هو القس ، واسمه في التاريخ ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي . عرف بانقطاعه عن الناس وبخلوته بربه ، فحفظ له التاريخ انقطاعه وخلوته . واخشى فيما اخشى أن أقطع عليه خلوته هذه ، فأظهر ما ود التاريخ إخفاءه . لا بأس ، فإن من يتحمل ظلمة غار حراء يتحمل ثقل الكلام عليه ... جل ما ابغي ألا أترك النبي معلقا بين الأرض والسماء ، لا أصل له ولا أساس ، ولو اضطربت بذلك طمانينة المؤمنين "

الفركة رائعة . أليس كذلك ؟

تعالوا نطرح الصوت :

محمد بن عبد اللة بن عبد المطلب ، النبي العربي كان على دين الصابئين ، على دين أبيه عبد اللة ، درس على أسقف مكة ،

(٣) الصيام : "قدوة بصوم موسى وايليا على جبل حوريب وصوم عيسى في برية الأردن وصوم الأباء الأولين ، كان محمد يقضي شهره في الأنقطاع عن الأكل أو في أكل وجبة واحدة في اليوم ، وفي الأقتصار بهذه الوجبة على المآكل الخفيفة من الأعشاب والثمار والألبان وكسر الخبز اليابسة والنباتات التي يلتقطها من الصحراء ويأكلها ، لا للتنعم بطعمها بل لسد جوعه وحاجته الغذائية الماسة " ١٦١

(٤) أعمال البر والإحسان : " لم تخل خلوة النبي من عمل الحسنة تجاه من يراه بحاجة اليها " و"هو الذي ذاق مرارة البؤس والحرمان منذ صغره ، وهو الذي تعلم على جده وعمه ونسيبه قس مكة أن يكون شفوقا بالمساكين عطوفا على المحتاجين وسخيا في العطاء " (ص٤٤)

(٥) شهر رمضان : "هو شهر الخلوة والصيام والصلاة والتعبد ، فيه كان النبي يعتكف في غار حراء ، وفيه كان يحظى بنعم اللة ، وفيه كان يتحنث ويتفكر باللة ويتأمل في كتبه المنزلة . انه شهر الهدى الذي نزل فيه الوحي تلطفا . لقد كان رمضان ، قبل التشريع القرآني شهر صيام نصراني " ١٦٢

(٦) الطواف في البيت : "في نهاية شهر الخلوة والصيام كان ينزل محمد من على جبل حراء ١٦٣ ويذهب الى بيت اللة للشكران والأحتفال بالعيد فيطوف الكعبة سبع مرات ثم يرجع الى بيته وزوجته مطمئنا متمما واجبه المقدس " ١٦٤

بعد هذه المقومات ، مقومات خلوة غار حراء ، كنيسة مكة ، التي دربه عليها أساتذة ، الأسقف ورقة بن نوفل ، كما تدرب موسى على اخناتون ١٦٥، ماذا حدث ؟ الذي حدث بالتمام عملية

---

[161] ص ٤٣ - ٤٤. "عرف عن محمد أنه كان يتزود لصيامه الكعك واللبن " (السيرة الحلبية)

[162] الى ذلك أشار القرآن بقوله : "ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم " البقرة

[163] حراء كان جبل يقع في شمال شرقي مكة يعرف بجبل النور ، فيه غار كان النبي يتحنث فيه قبل بعثه ، وبات فيه قبل هجرته الى المدينة يصحبه ابو بكر .

[164] كذلك كان يفعل النصارى بعد صيامهم الأربعين ، كانوا يحتفلون بعيد الشعانين ويطوفون حول كنائسهم سبع مرات . كذا في الأصل.

[165] وللديانة المصرية فضل كبير على النبي موسى وديانته التوحيدية حيث ان موسى كان واحدا من كهنة الإله آتون ورجلا بارزا في البلاط المصري وقد خرج هذا النبي بعد ان مات اخناتون (١٣٧٥-١٣٥٨ ق.م.) واخرج رجال الدين والحكم بعده الديانة المشركة الأولى فوجد موسى ان

استقلال عن ورقة . التلميذ ، محمد يغادر مدرسة الأسقف إلى الأبد لينشيء دينا جديدا . المسؤولية كبيرة ، كبيرة جدا ، الدرب محفوفة بالأخطار ، هو يريد أن يقدم لكنه خائف ، خائف من الفشل . خائف من أن يكذبوه . هل تصدقه زوجته خديجة ؟ هل تشتري هذه المراة بمالها ، المؤمنين ؟ ماذا يقول للناس؟
شريط سيرته امام عينيه مواج ، الطفل المسحوق يتهيا للجلوس على العرش . من الذي يحمله إلى فوق ؟ من الذي يدفعه زعيما على مكة ؟ ((زهرات قريش)) لم يتمتع بهن ! أثرياء مكة يجب أن يأتوه صاغرين . لا نصرانية في مكة بعد اليوم . ((المعلم) ورقة بن نوفل يجب عزله . غار حراء لن يبقى كنيسة . غار حراء بيت الوحي يدعى ، لأجل الذين ماتوا جوعا سيخضع أشراف مكة لإرادتي ، لأجل اليتامى والمساكين وأبناء السبيل أدعو نفسي نبيا . لينته زمن الصنمية . اليهود يطردون من الجزيرة .

عقل محمد يضطرب من جديد.

إرهاصات .... كان منها جزعا ، نوبات عصبية شديدة كانت تنتابه ، خشي ان يكون الشيطان مسببا . ولطالما كانت قسماته ترتجف ، ووجهه يتربد ، ويتصبب منه العرق في الأيام الباردة ، ويصاب بالأغماء ، ويغط كغطيط البكر .ويسمع عنده دوي كدوي النحل ، ويطلب من زوجته أن تلفه بثياب دافئة ليذهب عنه الروع . رؤى واحلام . ظن نفسه جنيا أو شيطانا [١٦٦]

خديجة تهرع الى ابن عمها القس ،
يا ابن عمي جئت اسألك في أمر عظيم : محمد اضطرب عقله ، يكلم اللة ! ينثر ادبا رائعا كانه الشعر ، يقول : سأطرد اليهود ، ساحطم الأصنام ، سأنقذ جياع مكة من اولئك الذين لم تعرف قلوبهم الرحمة ، اليوم أبعث نبيا ! [١٦٧] يا ابن عمي ماذا عندك تقول ؟

عليه ان يفتش له و لأتباع هذه الديانة من المصريين وبقايا الهكسوس في مصر عن مكان جديد فاتجه صوب ارض سيناء مبشرا بهذه الديانة وفارا من حكم ديانة مشركة وقائدا لقوم موحدين . (انظر خزعل ماجدي . المصدر نفسه)

[166] ص ٤٥: عن ابن هشام ١\٢٢٠-٢٢٣، صحيح البخاري ١\٢٣، ٣١ صحيح مسلم ١\٩٨، طبقات ابن سعد ١\١٩٨، السيرة الحلبية ١\٢٦٧، المكية ١\١٨٣، ١\٢٨٢.

[167] الا تصنع العصبية الشاعر كما تصنع النبي؟ (انظر جورج لابيكا : السياسة والدين عند ابن خلدون ، المصدر نفسه ص ١٣٥)

خديجة تبكي وتولول ، صوتها خفت ،
ورقة يبتسم ، كفه على رأس المرأة المروعة ، المراة العارفة .
"قدوس قدوس . والذي نفس ورقة بيده ، لئن صدقتني يا خديجة ، لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ، وانه لنبي هذه الأمة ، فقولي له فليثبت " [١٦٨]
الأحداث تتسارع ومحمد يسابق الزمن .
خديجة أيدته ، خديجة استقطبت له الأثرياء ، فدخل عمال النقليات – رجال أصحاب الإبل – في الإسلام أفواجا أفواجا .

من على جبل الخلوة والصلاة ، جبل حراء ، نزل محمد في نهاية شهر رمضان ، أتى الكعبة ليطوف بها سبع مرات . القس كان هناك . سأله المعلم المتواضع : يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت " فأخبره رسول لالة باطمئنان العارف بمشيئة اللة ، قال القس : "والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه . ولئن انا ادركت ذلك اليوم لأنصرت اللة نصرا يعلمه " . ثم أدنى رأسه منه وقبل يأفوخه . ثم انصرف محمد إلى منزله مطمئنا " [١٦٩]

مكة تتلقى الأعلانات ... الواحد تلو الآخر .

مكة تغلي . تردد : كتاب من اللة دفعه جبريل إلى محمد قائلا له : أبشر يامحمد أنا جبريل وانت رسول هذه الأمة .
محمد يذهب برفقة أبي بكر إلى الأسقف طالبا منه تفسير ما يعرض له من نوبات وإرهاصات ، فهو لا يدري من أين هي وممن هي وما معانيها . وأخبره مسترشدا : " إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي : يا محمد ، يا محمد ، فأنطلق هاربا إلى الأرض " وراح القس يرشده وينصحه ويهدئ من روعه ويطمئن نفسه في قوله : "لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني " [١٧٠]

[168] ص ٣٨ : عن ابن هشام ٢٢١\١، الحلبية ٢٦٢\١، ابن سعد ١٩٥\١.
[169] عن ابن هشام ٢٢١\١، الطبري ٤٩\٢، الحلبية ٢٦٣\١
[170] ص ٥٦، عن السيرة الحلبية ٢٦٣\١

وظل محمد يتردد على القس (الأسـقف) والرسـالة تهـز النفـوس والمشاعر . محمد نفسه كان يأتيه البـرد ، خديجـة تزملـه بالثيـاب الدافئـة . وإذ يعـود الرسـول إلـى وعيـه ليجـد خديجـة الـى جانبـه ليسترشـدها ، وعند خديجة الخبـر اليقـين : " كـلا أبشـر فواللـة لا يخزيك اللـة ابـدا ، انـك لتصـل الـرحم ، وتصـدق الحـديث ، وتحمـل الكـل لغيـرك ، وتكسـب المعـدوم وتقـري الضـعيف ، وتعـين علـى نوائب الحق ... " [١٧١]
القس ، الأسقف ، صنع نبيا ، لكنه لم يصنع خليفـة ، القـس يقلـد اخناتون .
يا ابن اخي ، ماذا ترى ؟ سأل القس محمدا .
محمد يقول : " أمرني جيريل ان ابشر خديجة ببيـت مـن قصـب لا صخب فيه ولا نصب " [١٧٢]

التفت القس إلى خديجة يقول : " نعم ، لم يأت رجل بما جئت ألا عودي " [١٧٣]
ماذا في مكة ؟

مكة تتمخض عن نبي عظيم ، عن بطل .

الذين أدركوا اللعبة قالوا : هو إما شاعر وإما ساحر وإما كاهن وإمـا مجنون ، وكما موسى كما محمد .

أشراف قريش من كـل قبيلـة اجتمعـوا قبـل غـروب الشـمس عنـد ظهر الكعبة ، دعوا محمد ليكلموه ، ولما جاءهم قالوا له :
"فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث ليكلموه ، ولما جاءهم قالوا له : فإن كنت إنما جئت بهـذا الحـديث تطلـب بـه مـالا جمعنـا لـك مـن اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا ، وان كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وان كنت تريد بـه ملكـا ملكنـاك علينـا ، وان كان هذا الذي يأتيك رئيسا قد غلب عليك ، فربمـا كـان ذلـك بـذلنا لك اموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك " [١٧٤]

جنون العظمة (Paranoia) يحبس على هؤلاء الأنفاس .

---

[171] ص ٥٨ ، عن صحيح مسلم ١\٩٧-٩٨، الحلبية ١\٢٦٧.
[172] ابن هشام ، القصب هنا : اللؤلؤ المجوف حسب تفسير ابن هشام .
[173] ص ٥٩ عن الحلبية ١\٢٦٣-٢٦٧.
[174] ابن هشام : مختصرة ١٣٠.

محمد ، هذا الخارق (Paranormal) يتآكله حب السـيطرة (self – assertion) . يتعالى . يتجاهل ما قالوه .

النقد ، هنا ، وفي كل مكان مـن هـذا الكتـاب ، لا يعنـي الهـدم أو التجريح . (إن نقد الدين هو الشرط الأولي لكل نقد) حسبما قـال ماركس .

لقد دخلنا (قناة النار) لنتطهر من خلالها ، وننتقل من (القديم إلى الجديد) من (التسليم الى التفكير) من (الموروث الى النقد)

محمـد ذو الأعصـاب الملتهبـة يتأمـل أشــراف قـريش ، يـدقق فـي عيـونهم ، يفـك اسـرارهم بجنـون ز محمـد العبقـري . المتمسـك بمبادئه الجديدة . (الصابء) الذي لم يرتد قال لسائليه :

"ما جئت بما جئتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملـك عليكم ، ولكن اللة بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا ، وأمرنـي أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكـم ، فإن تقبلوه مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخـرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر اللة حتى يحكم اللة بيني وبينكم " [١٧٥]

محمد لا يثق بسـائليه فكيـف يطلـب مـنهم مـا قـد عرضـوا عليـه؟ جنون العظمة أن يتكبر عما جاؤوا يقـدمون لـه . هـو يريـد الملـك ، ويريد النسـاء ، والمال ، والزعامة المطلقـة . لا عـن طـريقهم طبعـا وإنما عن طريق اللة العلي القدير ، وبالتخويف مـن النـار . اوسـيلة التي لا يخيب . محمد يعلم أن لو أخذ منهم قبل فجر اليوم التالي . هذا إن لم يقتلوه . محمد لا يريد الأستشـهاد . لم ينس ما خبـره عنهم . أحال الأمر إلى اللة . "اللة يؤتي الملك من يشـاء" و "يـذل من يشـاء".

وراح اللة يطاردهم أينما رحلوا وحلوا . نكد عيشـهم . أقلق بـالهم . أمحل أرضهم . قطع عنهم الغيث . أرسـل علـيهم الـذباب . وسـخر الرياح ، والوحوش ، والطيور ، والأفاعي ، والثعابين . ظل يلاحقهـم . جعل ليلهم نهارا . ونهارهم ليلا . شـتاؤهم صار صـيفا . وصـيفهم

---

[175] ابن هشام مختصرة : ص ١٣١

شتاء . ولما نفذ صبرهم جاؤوا محمدا يقولون : صدقناك . صدقناك . لا إله إلا اللة . محمد رسول اللة بعثه إلينا نبيا ورحمة وسلاما وعدلا . وإنا لمؤمنين .
إذ ذاك دعا الرسول اللة أن يتوقف عن مطاردتهم فتوقف ، وعاد كل من مكانه وصار النبي (أولى بالمؤمنين من أنفسهم)
سلطة الأسطورة سلمت لنا !

" عن علي بن أبي طالب قال : "لما سمع محمد النداء : قل أشهد ان لا اله الا اللة وان محمد رسول اللة . قال محمد : لبيك ، ثم قال : قل الحمد للة رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، لما سمع محمد ذلك اضطرب وقام واتى القس وذكر له ما سمع ، فقال ورقة "أبشر ثم أبشر ، فإني أشهد إنك الذي بشر بك ابن مريم . فإنك على مثل ناموس موسى ، وإنك نبي مرسل . وإنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك ولئن ادركني ذلك لأجاهدن معك" [١٧٦]

سلطة الطبقة أكدها وكرسها فيلسوف وأديب بليغ .

ما أصعب أن يأتي هذا الكلام عن فيلسوف مثالي؟

علي تزوج نساء شتى ، أنجب أولادا قاتل بعضهم البعض الآخر .

علي شارك في سلطة الطبقة وشارك في سلطة الأسطورة . علي أسهم في تأليف القرآن وكتابته [١٧٧] . تنازل عن الفصول التي كتبها ، أعطاها لمحمد . محمد وعده أن يكتب إلى المسلمين قبل موته ، يوصيهم به إماما وخليفة من بعده . محمد مات ولم يجرؤ على كتابة الوصية [١٧٨] . تصدع الإسلام بعد محمد . تناثر شيعا واحزابا .

[176] ص ٥٩ ، عن الحلبية ١\٢٦٩

[177] "كان كتاب الوحي والكتب والعهود : على بن ابي طالب وعثمان بن عفان وعمرو بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان وشر حبيل بن حسنة وعبد اللة بن سعد بن ابي سرح والمغيرة بن شعبة ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وحنظلة بن الربيع وابي بن كعب وجهيم بن الصلت والحصين النميري " (اليعقوبي ، المجلد الثاني ، ص ٨٠)

[178] لما احتضر رسول اللة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، قال النبي : هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ، فقال عمر : ان النبي قد غلبه الوجع وعندكم القرآن وحسبنا كتاب اللة ، (دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ، حسن الأمين ، عن صحيح البخاري الجزء الرابع) . والملحوظ ان محمدا كان يخاف عمر بن الخطاب ويكرهه ويرتابه .

على ضريح النبي :

قبل انتهاء الرحلة المباركة يجب أن نقف على ضريح النبي ، لنقول له كلمة مخلصة وصادقة . ونرجو من سيد العالمين لو يسمع بهدوء وروية .

لو تفرغ علي للتفكير والفلسفة ، وترفع عن السياسة ، لأنسن الإسلام ، وانقذه من الترهات التي جاءته من كل مكان .

من وحي الرحلة ، ام من وحيس القس ؟

من وحي موسى ، ام من وحي اخناتون ؟

من وحي الضريح الذي يشع نورا أم من وحي الجنون والعبقرية ؟

أطلال نحاول أن نبعث فيها الحياة !

لكن ابو موسى الحريري يقول :
"والأجدر القول : إن النصرانية والإسلام دين واحد باختلاف الأسم . أو قل : إن الإسلام هو الأسم العربي للنصرانية وهذا هو المعنى الحقيقي لدين إبراهيم الحنيف الذي يقوم أولا وآخلا على رفض الشرك على القول بوحدانية اللة المطلقة " (ص١٠٥)

حياك اللة أيها المسافر إلى غار حراء !

البراق على ضريح صاحبه يحمحم . تراه هل يسمعه ؟

كلمة أخيرة :

"أوجه الشبه بين القرآن وما سبقه من كتب : كالتوراه والإنجيل ، الرسمي منها والمنحول ، ومن تقليد شفهي تناقلته ألسن الناس ، وهي تفصل أخبار الأقدمين وتيسرها ، ومن تراث نسجت مخيلة الشعوب حوله قصصا وأساطير ، نمت وانتشرت سريعة دون رقيب من منطق او ضمير . وكان لهذه المخيلة الدور الكبير في طقوس الأديان عامة وفي معتقدات المتدينين " (ص١٢١)

فصول [١٧٩] أخشى عليها من الخدش ، تركتها للقارئ على أمل أن يسعى في الحصول عليها .

أيها المؤلف العزيز ،
ذكرتنا بالمرحوم الدكتور طه حسين وقوله :
"ليس من اليسير ان نفهم أن الناس قد أعجبوا بالقرآن حين تليت عليهم آياته ألا تكون بينهم وبينه صلة ... وليس من اليسير أن نفهم أن العرب قد قاوموا القرآن وناهضوه وجادلوا النبي فيه إلا أن يكونوا قد فهموه ووقفوا علي اسراره ووقائعه . وليس من اليسير ، بل من الممكن أن نصدق أن القرآن كان جديدا كله على العرب ، فلو كان كذلك لما فهموه ولا وعوه ولا آمن به بعضهم ولا ناهضه وجادل فيه بعضهم الآخر ... " [١٨٠]

فهلا ذكرت أو تذكرت سلمان الفارسي وأبا ذر الغفاري وصهيب الرومي وبلال الحبشي وجميع الذين خدموا سلطة الأسطورة حتى طحنتهم العروبة (القرشية) وسلطة الطبقة سيدة الحي الراقي في مكة ؟

لقد قال الترمذي : "الملك في قريش والدين في الأنصار "

مسكين أسقف مكة ، القس ورقة بن نوفل ، زرع وردة على جبل حراء وما علم أنها تحولت عوسجة بالإضافة إليه وإليه مذهبه وعقيدته .

---

[179] هي في خمس موضوعات : ١- في المسيح وامه والروح القدس ، ٢- في الفروض والعبادات وشعائر الدين ، ٣- في الحسنات والصدقات ، ٤- في الجنة والنار ، ٥- في امثال الإنجيل القرآنية . الى مثلها سبقه الأستاذ الحداد في سلسلة كتب : "مدخل الى الحوار الإسلامي المسيحي " ، "القرآن دعوة نصرانية " ، القرآن والمسيحية " ، "نظم القرآن وكتاب : اعجاز القرآن " . وقبل الأستاذ الحداد ، المرحوم انطون سعادة في "الإسلام في رسالتيه المسيحية والمحمدية "

[180] ص ١٨٦-١٨٧، عن الدكتور طه حسين "في الأدب الجاهلي" ، دار المعارف مصر ١٩٤٧، ص ٧٨.